


العدد ١١
حزيران ٢٠١٣

لأهلنا في الساحل و لجميع السوريين



طرطوس ـ بانياس؛ بين خطوط التماس و خطوط الإغاثة



مشاهد يرويها ناجون .. و مشاركون

ملف العدد: مجزرة البيضا





المحتويات

خطوة للأمام .. !

وسط أوضاع الساحل غير المناسبة للعمل الثوري، من انعدام البيئة الحاضنة، و العيون المزروعة حولنا في كل مكان تحاول أن تقتنص هفواتنا للإيقاع بنا، كان تطوير المجلة و توسيع كادرها محفوفاً بالخطر و القلق من الاختراق من قبل من يحاولون القضاء على أي نفس ثوريّ يخرج من هنا.
كانت خططنا بتطوير عملنا دائماً ما تصطدم بمطباتٍ أمنية جلّها يتعلق بالثقة. لذلك فضّلنا على مدار عشرة أشهر العمل بكادرٍ قليل العدد و الخبرة و الإمكانيات على التوسع غير المدروس الّذي قد يطيح بالمشروع بأكمله؛ مشروع صوتٍ حر يخرج من هنا من قلب «العالم الآخر»، يصرخ بمواجعه، و يحاول أن يؤسس لتفكير مختلف قد يسهم في تغيير واقعه أو مستقبله.
حتّى كانت خطوتنا الكبيرة الّتي بدأنا بها منذ شهر، لنضم إلى أسرة تحريرنا مزيداً من الإمكانات الّتي ستؤدي بلا شك إلى ارتقاء العمل و تحقيقه لجدواه بطريقة أفضل.

شاركنا عملنا في إعداد العدد الحادي عشر عدد من الناشطين المقيمين في الساحل ممن أرادوا أن يقولوا كلمتهم على صفحاتنا.
كما كان لنا شرف التعاون مع الشاعرة رشا عمران الّتي انضمت لأسرتنا لتشاركنا النقاش و تكتب لسنديان في «مساحةٍ حرة» عن «المعجزة» الّتي تأمل حدوثها بأن يشكل تواجد هذه الأعداد الكبيرة من النازحين في الساحل عاملاً يسهم في إعادة لحم أوصال المجتمع السوري في الغد القادم.

و استمراراً لتغطية المجلة لمجزرة البيضا و حملات الإغاثة الّتي تبعتها، نخصّص في هذا العدد ملفاً خاصاً بالمجزرة يتضمن توثيقاً لما حصل فيها و لحملات الإغاثة الّتي تلتها، و من ثمّ نختم بمقال مأخوذ عن صفحة الأستاذ نبيه نبهان (الناشط في شؤون الإغاثة في محافظة طرطوس) تحت عنوان «العمل الإغاثي كرافعة للعمل المدني».

إلى جانب رونق «المشاركة في الإعداد مع أشخاص جدد»، تميّز هذا العدد بإطلالة الروائية روزا ياسين حسن على صفحات المجلة من خلال حوار خاص أجراه مراسل سنديان معها. كما حاولنا في عددنا الحادي عشر ملامسة الحياة المحليّة السّاحلية بعمق أكثر من خلال زاويةٍ جديدة «محليات» خصّصت هذا العدد لبحث «أزمة المتة» و تداعياتها و الكلام الفصل في صحة الإشاعات المنشورة حولها من خلال تحرياتنا في يبرود.
و في محاولةٍ للتنبؤ بمصير السّلاح بعد سقوط النظام يكتب ياسين أحد محرّري المجلة في خود و عطي «سياسة تقديس السّلاح و العسكر، نظرةٌ بعد حين»، كما يدرس صادق عبد الرحمن في «نقدٍ ذاتي» علاقة الثورة السّورية مع الغرب و الاستجداء المستحيل للتدخل وسط الواقع الحالي. و يشاركنا «بيشوا» العدد في «سنديان بتتكلم آزادي» «نحو حوار يؤسس لجمهورية الحريّة السّورية». و نحاول كما في كل عدد إلقاء الضوء على أبرز ما في الشّهر من «لافتات مميزة» و «صور من العالم الآخر» و «لقطات من وطني» و «فسبكات».

نطمح بتركنا الباب مفتوحاً لكل من يودّ مشاركتنا عملنا هذا أن نستطيع مواكبة طموحاتنا و أفكارنا، و إغناءها بوجهات النظر الأخرى و الهمم المشحوذة لتقديم أفضل ما لدينا لمستقبلنا كما نطمح له مهما بدا هذا الطموح بعيداً اليوم.

أسرة سنديان

سياسة تقديسِ السلاح و العسكر، نظرة بعد حين

بقلم: ياسين

تنتشر في اللاذقية على مدخل المدينة أحذية عسكرية حُمّلت ورودًا، كما يشيع في المسيرات المؤيدة رفع شعار «الحذاء العسكري» كنايةً عن فضله في حماية رافعيه، و اعترافاً بجهود الجيش و العسكر. في هذه المقالة نحاول توقّع ما سيؤول إليه هذا السلاح بعد سقوط النظام، و كيف ستكون وجهته حينها.

قام الأسد بتوزيع السلاح عشوائياً على مؤيديه في إجراء لم يسبقه إليه أي من طغاة العرب حتى الآن. المجتمع السوري الذي كان يتفاخر بأنه «غير مسلح» غدا اليوم سوقاً للسلاح، إذ قام الأسد بتوزيع السلاح الفردي تحت مسميات مختلفة، «لجان شعبية»، «جيش دفاع وطني»، عدا عن السلاح بيد الأمن و الشبيحة و الجيش النظامي.

يوجه هذا السلاح اليوم بوجه الثوار، و بوجه كل من يرفع صوته مؤيداً لهم أو رافضاً لجرائم الأسد. أما بعد سقوط الأسد فلن يكون هناك من يتجرأ على جمع هذا السلاح أو المطالبة بتسليمه، سيكون لهذا السلاح بالذات السطوة في المجتمعات المؤيدة حالياً، و لا شك أنه سيستخدم لإخضاعها لما يريده حاملوه كما هو يستخدم اليوم لإخضاع الآخرين. و إذا كان الممول الأساسي لهذا السلاح هو رامي مخلوف، ابن خال الأسد و شريكه في الدم و المال، فإن السياسة التي سيرسمها رامي و شركاه ستوكل مهمة تطبيقها إلى حملة هذا السلاح. سيغدو المؤيدون في سوريا ولا سيما في الساحل السوري و حمص تحت رحمة مصاص الدماء و المال و تحت رحمة تحالفاته التي سيختارها.

في الوقت الذي ستكون فيه سوريا قد أصبحت حرة من القبضة الأمنية، في الوقت الذي ستنطلق فيه تحركات المجتمع المدني، و سيكون السوريين قد أصبحوا أحراراً في قول ما يريدون ساعة يريدون، سيكون الساحل قد انتقل من استعباد «طوعي» اختاره الأهالي خوفاً من قادم مجهول، إلى استعباد «عسكري» مفروض بقوة السلاح الذي هلّلوا له يوماً. لن يجرؤ أحد على مخالفة توجهات البندقية، و ربما نشهد مجازر تأديبية لمن يفكر في رفض الخضوع له.

هذا السلاح الذي ترونه الآن منضبطاً في مواجهة العدو–الثورة، سيكون منفلتاً من كل عقال بعد سقوط رأسه الضابط له، و ستكونون أنتم ضحيته الأولى لا سيما من يفكر منكم بمشاركة البلد استقلاله الجديد. لا أعتقد أن أي توقع بترك هذا السلاح أو تسليمه لجهات محايدة سيكون له أي مكان من المنطق، لا سيما بعد حملات التقديس الحالية التي تجعل من حملة هذا السلاح أطهاراً في أرض نجسة، هؤلاء الأطهار، عندما يفشلون في فرض سيطرتهم على أرض ليست لهم أساساً – في دوما و دير الزور و ريف إدلب مثلاً– سيعودون ليفرضو سيطرتهم على أرض يرونها أرضهم – في الساحل و ريفه و حمص–، و سيكون المهلل الأكبر لهذا السلاح هو من يعيش و في رأسه فوه سبطاناته حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

السلاح لم يبنِ مجتمعاً يوماً، و كل سلطة جاءت بالسلاح لم تستطع أن تحكم إلا بالسلاح، هذه سنة تاريخية ليس فيها شواذ. كلما زاد تقديسك لهذا السلاح كلما زاد خضوعك لسلطته في المستقبل. كلما ساهمت بتحييد سيطرة السلاح و تقديسه، كلما ساعدت نفسك في التخلص من سطوته عليك في المستقبل، و يبقى الخيار ... خيارك.





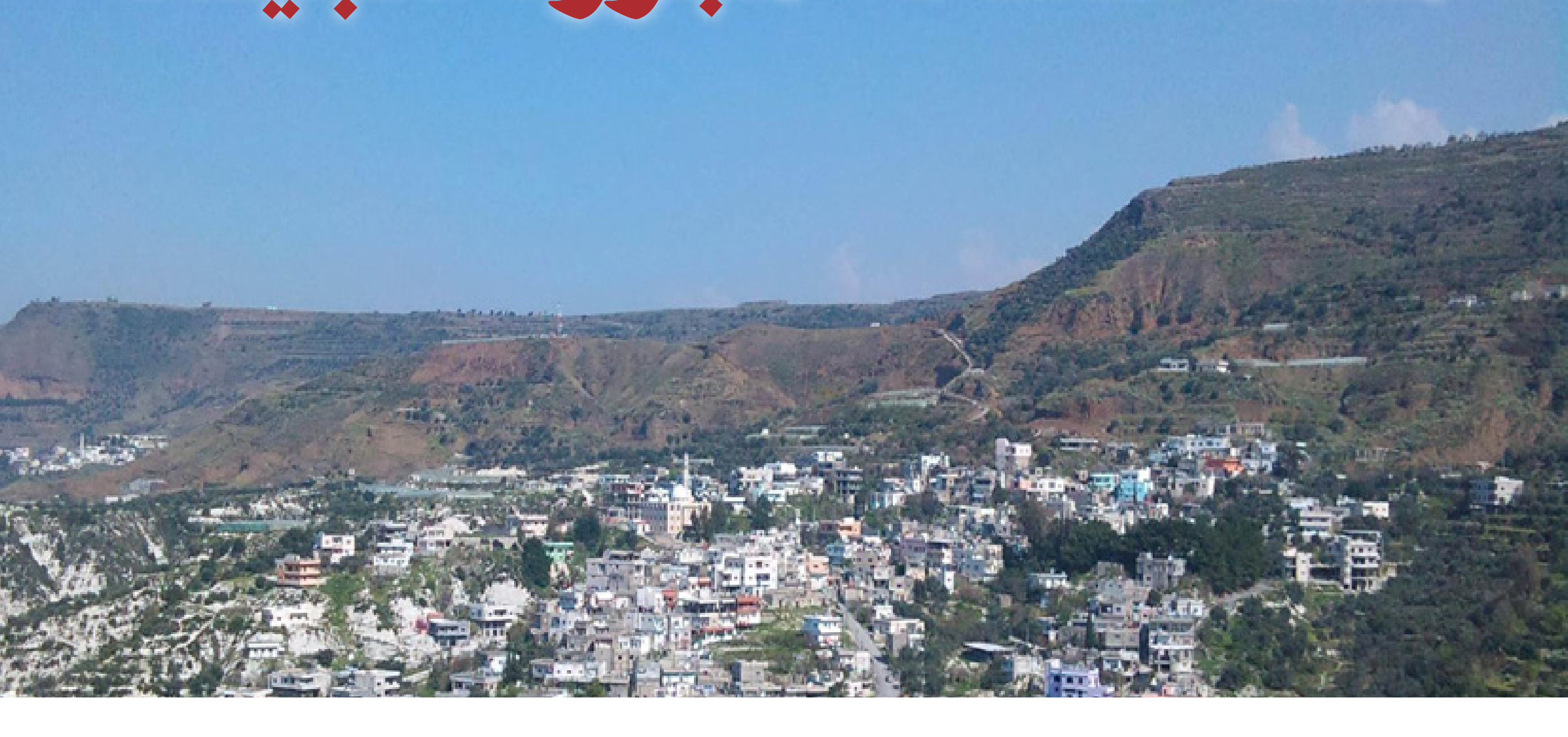
اللاذقية

حمص

طرطوس







تقديم:

كانت مجزرة البيضا الحدث الأكثر بروزاً و إيلاماً خلال الشهر الماضي، حيث كان استهداف حاجز للجيش النظامي من قبل «مسلحين» مقدمةً لحملة عسكرية شرسة على البيضا و جوارها و حي رأس النبع في بانياس. بدأت الحملة بقصف عنيف من مدفعية الجيش السوري، تلاه اقتحام المنطقة من قبل شبيحة طائفيين تابعين لفرق الموت (جيش الدّفاع الوطني، و اللجان الشعبية) ليرتكبوا هناك من الفظائع ما يندى له جبين الإنسانية.

بعد المجزرة، توالت ردود الأفعال الانفعالية، لتعمّ الدعوات الطائفية للأخذ بالثأر معظم صفحات العالم الافتراضي المعارض، ليقابلها على المقلب الآخر صمت مخزٍ في أكثر الأحوال، أو ردود أفعال شامتة هازئة بما حل بـ «إرهابيي البيضا» في أحوال أقل. و يبقى الصوت الأضعف على الإطلاق –كما بعد كل مجزرة– هو الصّوت الّذي يتجرأ للدعوة إلى تحكيم العقل و إيقاف حملات الشحن الطائفي.
يقول البعض: «مجزرة البيضا حكمت على المستقبل السّوري بنزاع طائفي طويل حتّى بعد سقوط النظام»، قد يكون هذا الكلام صحيحاً و قد لا يكون، و لكنّ الأكيد حكماً أنّ: «ما قبل البيضا ليس كما بعدها».

بعد أن فرضت هذه المجزرة نفسها افتتاحيةً لعددنا العاشر «على وقع مجزرة البيضا»، نخصّص في عددنا هذا ملفاً حولها، يتناول المواضيع التالية:

- **مجزرة البيضا مشاهد يرويها ناجون .. و مشاركون**: تقرير يكشف بعض ما خفي من تفاصيل المجزرة و ما حدث بعدها.
- **طرطوس-بانياس؛ بين خطوط التماس و خطوط الإغاثة**: تقرير يوثّق الجهود الإغاثية لمتطوعين في طرطوس بعد المجزرة.
- **العمل التطوعي الإنساني .. رافعة للعمل المدني**: مقال مأخوذ عن صفحة الأستاذ نبيه نبهان يبحث واقع العمل التطوعي الإنساني في ظل الحرب الدائرة في سوريا، و اختلاف آلياته بين المناطق الّتي ما زالت خاضعة لسلطة النظام و تلك الّتي خرجت عن سيطرته.

مجزرة البيضا:
مشاهد يرويها ناجون .. و مشاركون

نحاول في هذا التقرير جمع إفاداتٍ وصلتنا من مصادر متعدّدة تعيد تصوير بعض المشاهد الّتي حدثت أثناء مجزرة البيضا و بعدها. يتضح لكم من سياق المشاهد أنّ مصادر هذا التقرير مختلفةٌ اختلافاً بعيداً فمنها ما تسرّب إلينا من خلال شهادات لناجين من المجزرة، و منها ما نُقِلَ عن بعض الّذين كانوا مع الحدث لكن في الجانب الآخر! نهدف إلى توثيق مشاهد مروّعة في سياق المجزرة، وحالات شقّت الصّف وسط القوات الّتي هجمت على البيضا، و ربما لا يجمع الحالتين جامع إلا أنّها حدثت فعلاً و في نفس المكان و الزمان.

الإطار العام للمشاهد:

• تتكوّن البيضا من «القرية الأساسية»، و عدّة مزارع (مجموعة بيوت وسط الأراضي الزراعية)، في كل مزرعة حوالي ٤٠ أو ٥٠ بيت. هذه المزارع هي من الشرق إلى الغرب: بيت شوفان، الجمّيز، سهم البحر، القنيطرة، القرّير، وطا البيضا.
• سكان البيضا يتوزعون بين مسلمين سنّة، و مسيحيين أرثوذوكس.
• في البلدة مسجدين وكنيسة في الجهة الشرقية منها، إضافةً لكنيسة المراح التي تقع في مدخل البلدة الغربي.
• أعداد ضحايا مجزرة البيضا بين الـ (٥٠٠) و الـ (١٠٠٠) ضحيّة.
• قامت فرق الموت (اللجان الشعبية، و جيش الدفاع الوطني) بالمجزرة، من خلال شبيحة معظمهم من القرى المجاورة و منها: (الزوبة، المورد، ضهر بيت الشيخ علي، بيت العتيق، تعنيتا، جريسية).

المشهد الأوّل:

قبل المجزرة، تمّ إخبار أهالي القرى المجاورة أنّ مسلحين أجانب يختبئون في البيضا و أنّ الجيش هناك محاصر، بناءً على السابق قدموا إلى البيضا. بعد اطّلاعهم على الوضع منهم من عاد أدراجه و منهم من انخرط في القتل!

المشهد الثاني:

قبل بدء الأعمال الإجرامية و عند إعطاء الأوامر، فوجئ بعض المسلحين بماهية الأوامر و رفضوا تنفيذها، ما كان من «قائد المجموعة» إلا أن طلب ممن لا يجرؤ على القتل أن يتنحّى و تمّ إخراج عدد من المسلحين بناءً على طلبه إلى خارج القرية.

المشهد الثالث:

في البداية انتشرت روايات حول نقل بعض الضحايا من البيضا إلى بعض «مزارات الطائفة العلوية»، ثمّ تأكدنا من وجود جثث محروقة و متفسخة عند «مزار العجمي» قرب البيضا لضحايا لم يسمح لمن تبقى من ذويهم حتّى دفنهم! ما جرى في هذه الحالات يفوق التصور!

المشهد الرابع:

ثلاث حالات متشابهة في ثلاثة بيوت مختلفة: يدخل المسلحون، يطلبون من أهل البيت بصوت منخفض وبالإشارات الدخول إلى غرفة في البيت وأن يحكموا إقفال الغرفة ويبتعدوا عن الباب، ثم يفرغون رصاصهم بمحتويات المنزل والجدران والسقف.يخرجون ويرابطون أمام الأبواب الخارجية ويبلغون «قائدهم» : «مشي الحال سيدنا». لا يتركون المنازل الثلاث حتى يتأكدوا من البدء بالرحيل. و ينجوا من نجا و يروي هذه الحوادث.

المشهد الخامس :

تمكّن مراسلونا من تأكيد المعلومات الّتي وردت عن مشاركة مجموعة من «اللاجئين» القادمين من حلب إلى طرطوس مع سياراتهم الخاصة و شاحناتهم في أعمال السّرقة الممنهجة لبيوت قرية البيضا قبل حرقها. و ذلك تلبيةً منهم لدعوات من قبل «مشرفي المجزرة» لاغتنام منازل الضحايا. في حين رفض البعض تلبية هذه الدعوة إلا أنّ آخرين اغتنموها فرصةً للنهب «بالخفاء». لا يمكن قراءة هذا المشهد إلا ضمن الإطار العام لخطط النظام في إغراق السوريين –كلّ السوريين– في دماء بعضهم البعض.

المشهد السادس:

في أيام المجزرة (٣-٤-٥ /٥/ ٢٠١٣) تحولت كنيستا البيضا و المراح إلى مركز لجوء و إغاثة للنازحين، حيث وضع طاقم الكنيستين كل ما توفر بأيديهم من أسباب الحياة بخدمة أهالي البيضا بالرغم من أنّ إمكانات الكنيستين كانت قليلة لأنّ الحصار المفروض على

البيضا طالهما أيضاً. فعلوا ذلك بالرغم من أنّه تُرك لهم ممر «آمن» للفرار من جحيم المجزرة.
تكرّر هذا المشهد في كنائس أخرى على امتداد الطريق بين البيضا و طرطوس.

المشهد السابع:

بعد المجزرة: قام العديد من الناشطين في بانياس و طرطوس بمحاولات إغاثية عديدة للبيضا و أهلها، شارك فيها ناشطون «علويون» بكثافة. عندما كانت حواجز «جيش الدفاع الوطني» تقوم بإيقاف قوافل المساعدة كان لسان حالهم يستهجن مشاركة هؤلاء الناشطين في أيّة أعمال إغاثية تلت المجزرة الّتي ارتكبوها. «نحنا منفتق، و إنتو بترقعوا!!» قالها أحد العناصر ما بين الاستغراب و السخرية، و سمح للقافلة بإكمال طريقها!

من المحتّم أن يفتقر تقريرنا هذا إلى المعايير الموضوعية و المثالية المطلوبة، خاصةً أننا مضطرون حكماً للتحفظ على بيانات مصادرنا أو أيّة تفاصيل قد تلحق ضرراً بهم، و لكننا نؤكّد أنّها موجودة لدينا بانتظار يومٍ يمكننا فيه أن نقف أمام قانون عادل ينصف الضحيّة و يقتص لها من الجلاد.

مراسلو سنديان

صور من المجزرة





البيضا

البيضا





البيضا



البيضا



البيضا



البيضا



راس النبع



الشهيدات عائشة، سارة، و حليمه بياسي



راس النبع

طرطوس - بانياس؛ بين خطوط التماس و خطوط الإغاثة

لم يكن النشاط الإغاثي في طرطوس إثر مجزرة البيضا هو الأوّل من نوعه، بل سبقته محاولات إغاثية متواضعة بدأت مع قدوم النازحين من ريف حمص و إدلب في منتصف عام ٢٠١١، و ازدادت تنظيماً و كثافةً خلال عام ٢٠١٢ مع قدوم موجات كبيرة من النازحين خاصةً من حلب بعد تصاعد الصّراع المسلّح فيها.

مع استخدام المباني والمنشئات العامة (الخارجة من الخدمة) كمراكز للإيواء، أصبح النشاط الإغاثي اليوم نشاطاً ممنهجاً يقوم على المسح الدوري لهذه المراكز لتقدير الاحتياجات و محاولة تلبيتها بواسطة تبرعات و جهود من قبل جمعيات محليّة و متطوعون إنسانيون من مختلف الانتماءات الدينية و السياسية.

و لكن يدرك المتابع للواقع الإغاثي في طرطوس أنّ حملات الإغاثة الّتي أعقبت الأحداث المؤلمة في البيضا و رأس النبع شكّلت نقطةً فارقةً في تطوّر «العمل الإنساني» في المحافظة، وذلك لهول ما جرى من جهة، و لكثافة الجهود الّتي بذلت في سبيل تقديم المعونات للمتضرّرين من جهةٍ أخرى.

البيضا.. كارثة إنسانية بكل ما للكلمة من معنى:

حاولنا في الجزء الأوّل من ملف العدد الإضاءة على بعض المشاهد المروّعة الّتي حدثت في البيضا، و بالرغم من ذلك تبقى الحقيقة الكاملة أشنع من أن يحاط بها بالكلمات؛ فقد تركت العمليات العسكرية في منطقة بانياس مطلع شهر أيار الماضي أجزاءً كبيرة من بانياس و ريفها في حالة إنسانية صعبة جداً، وذلك مع احتراق المئات من المنازل و تشريد قاطنيها، و وفاة أعدادٍ كبيرة من المدنيين بعد اقتحام القرية، و منطقة «رأس النبع».

إضافةً إلى أنّه و بعد المجزرة، حدثت موجات نزوح جماعية من القرية وبانياس ومحيطها باتجاه طرطوس و قرية زمرين المجاورة. بينما افتقر من بقي من السكان في البيضا و رأس النبع - أو من عاد إليهما بعد حين- إلى أبسط مقومات الحياة من مأكل و ملبس و مأوىً يصلح للسكن.

حملات الإغاثة إلى بانياس (بانياس ١ و ٢ و ٣) - جمعيّة العاديات:

مع وصول أخبار الكارثة الإنسانية في «البيضا» و «رأس النبع»، بدأت «لجنة الإغاثة - جمعية العاديات في طرطوس» بإطلاق الدعوات لمدّ المناطق المنكوبة بالمساعدات الإنسانية والدعم الكفيل بمساعدة الأهالي على الاستمرار و تجاوز المحنة، لتتوّج تلك الدعوات بإعلان الجمعيّة عن أولى حملات المعونة الإنسانية الّتي انطلقت من طرطوس إلى بانياس يوم السبت ٢٠١٣/٥/١١ و ذلك تحت عنوان «حملة بانياس-١».

• بانياس-١: تمّ التجهيز للحملة من قبل مجموعة من متطوعي «لجنة الإغاثة» الّتي قامت بجمع التبرعات المادية و العينية و فرزها و توضيبها على شكل سلّات غذائية تؤمن احتياجات أكثر من ٢٥٠ عائلة. وبعد سلسلة تدقيقات أمنية مشكّكة، انطلقت القافلة من طرطوس بمواكبة الهلال الأحمر السوري ومرافقة رئيس فرعه في طرطوس، لتصل إلى «شعبة الهلال الأحمر» في بانياس وتقوم بتوزيع الجزء الأكبر من المعونات، بينما انطلق قسم من المتطوعين إلى قرية البيضا لإكمال عمليّة التوزيع هناك، و معاينة الوضع الإنساني في القرية لأخذ ما غفلت عنه هذه القافلة من احتياجات المتضررين في الحسبان عند التخطيط للقوافل القادمة.



مرافقة الهلال الأحمر لقافلة بانياس -١- جمعية العاديات (طرطوس)

• بانياس-٢: بعد التفاعل الملفت الّذي لقيته القافلة الأولى، سارع منظموها إلى تنظيم قافلة مساعدات ثانية انطلقت من طرطوس في ٢٠١٣/٥/٢٥ مكونةً من ٤ شاحنات تحمل ما تيسّر جمعه من التبرعات و عدّة سيارات أخرى تقل المتطوعين. خط مسير القافلة

تضمّن هذه المرّة كلاً من «الوطى» (و هو مسيل مائي جنوب البيضا)، ومن ثمّ إلى بلدة البيضا. حيث قام متطوعو «لجنة الإغاثة» بتوزيع المعونات على الأهالي الذين توافدوا إلى مكان تواجد اللجنة سواء في مسيل الوطى أو ساحة البيضا، و من ثمّ قام المتطوعون بزيارة كنيسة البيضا للاطلاع على تجربتها الإغاثية المميزة.

بعد هذه الحملة، برزت الحاجة الملحّة «لإعادة إعمار» البيضا و رأس النبع في بانياس و إصلاح بنيتهما التحتيّة و توفير المرافق الحيوية الضرورية لإعادة الحياة للقرية مع عودة سكانها إليها، الأمر الّذي وضعته اللّجنة في أعلى سلّم أولويات نشاطاتها القادمة، و باشرت بأولها من خلال قيام متطوعين بتوريد لمبات الإنارة والتعاون مع «بلدية بانياس» التي أرسلت رافعة السلة وفنيي الصيانة الكهربائية لتركيب إنارة جديدة في طرقات البيضا يوم الخميس ٢٠١٣/٥/٣٠.



تركيب لمبات إنارة في شوارع بلدة البيضا

• **بانياس-٣**: أعلنت «لجنة الإغاثة» عن نيّتها تسيير قافلة ثالثة إلى بانياس (حي رأس النبع)، و فتحت باب التبرعات و التطوّع من أجل تجهيز القافلة.

حملات الإغاثة إلى زمرين: (زمرين ١ و ٢) - جمعيّة العاديات:

إثر المجزرة، استقبلت قرية زمرين المجاورة للبيضة أعداداً كبيرة من النازحين قدّروا بحوالي الـ ١٠٠٠ عائلة من بانياس، و ١٠٠ عائلة حلبية كانت قد نزحت سابقاً إلى بانياس في الأيام الأولى للنزوح. و بدأت هذه الأعداد بالتناقص مع توقف الأعمال العسكرية ولم يبقَ في زمرين إلا قرابة ١٠٠ عائلة.

خلق هذا التوافد الكبير للنازحين الّذين لا يحملون سوى آلامهم و كوابيسهم أزمةً إنسانيةً خانقة في القرية، الأمر الّذي دفع متطوعي «لجنة الإغاثة» - و منذ الأيام الأولى - إلى العمل على تنظيم قوافل مساعدة للنازحين تؤمن صمودهم ريثما تتاح لهم الفرصة للعودة.

كانت أولى القوافل المنطلقة من طرطوس هي قافلة «زمرين-١» الّتي وصلت القرية في ٢٠١٣/٥/٥، و أتبعتها اللجنة بقافلة «زمرين-٢» في ٢٠١٣/٥/١٦. حرص المنظمون للقافلتين على تأمين أهم احتياجات النازحين في القرية (طعام، و ألبسة) و ذلك من خلال زيارات ميدانية قام بها بعض المتطوعين قبل تجهيز القافلتين بالمواد المطلوبة.

الدّور الإغاثي لكنائس البيضا و جوارها:

أصرّ القائمون على كنيستي البيضا و المراح على عدم ترك الكنيستين في أيام المجزرة، بل قاموا بتحويل الكنيستين (ومعهما بقية كنائس بانياس) إلى مركز لجوء وإغاثة للسكان الهاربين من هول ما حدث. و بالرغم من ضعف الإمكانات الناجم عن الحصار المفروض على المنطقة، قدّم القائمون على الكنائس كلّ ما في جعبتهم لكل من طرق بابهم. كما حذت كنيسة المتن (قرب زمرين) حذو مثيلاتها في البيضا والمراح وبانياس من حيث دعم النازحين إلى القرية، ليقوم إمام مسجد زمرين بشكر الكنيسة على ما قدمته في خطبة الجمعة التالية.

وفيما بعد، عَمَدَت الكنيسة إلى تقديم مساعدات عينية (حِصص غذائية، سلات صحيّة، فرشات وبطانيات) وأخرى ماديّة (توزع على دفتر العائلة) للمتضرّرين من المجزرة. كما حافظت كنيستا البيضا على دورهما المحوري في العملية الإغاثية، من خلال استقبال القوافل القادمة للقرية، وتأمين مكان آمن ومناسب لتوزيع المعونات على الأهالي.



توزيع المساعدات في كنيسة البيضا

رسالة النشاط الإغاثي:

لم يخفِ المتطوعون في البداية قلقهم من حصول احتكاك بينهم و بين أهالي بانياس بعد ما تعرضوا له في الأيام السابقة، وأعطى منظمو الحملات توجيهاتٍ للجميع بضبط النفس و تفهّم أي تصرفات غاضبة قد تصدر من الأهالي، و لكنّ أهل بانياس استقبلوا الوافدين إليهم بروح طيبة و قلوب شاكرة حانية . مما شجّع المتطوعين على المضي في عملهم الإنساني وتوسيع نشاطهم الإغاثي في رسالةٍ واضحة يتحدّون فيها رياح الوحشية الطائفية ويؤكّدون من خلالها على إرادة العيش المشترك و التعاضد الإنساني .



العمل الإغاثي في طرطوس يتحدّى نصل الطائفية :

ساهمت جهود النّاشطين والدّعم الإعلامي الّذي رافق قوافل الإغاثة في حثّ المزيد من الشباب من مختلف الطوائف والتوجهات على التطوّع والخروج من «السلبية» تجاه ما يحدث في جوارهم من مآسٍ إنسانية. كان هذا الأمر واضحاً جداً من خلال ارتفاع مستوى المشاركة والتنظيم في النشاطات الإغاثية المتتابعة يوماً بعد يوم.

قد تكون النشاطات الإنسانية لوحدها غير كافيةٍ لإصلاح ما يتهتّك في بنية المجتمع السّوري، خاصةً إذا ما وضعت جنباً إلى جنب بجوار الدم الّذي سُفِك بوحشيةٍ غير مسبوقة سواء هنا في بانياس أو على امتداد الوطن السّوري، ولكنّ واقع الحال يشير إلى أنّ أهمية هذا النشاط تكمن في مدّه جسوراً للتواصل بين قلوب بيضاء وأخرى جريحة، جسوراً إلى مستقبل يليق بهذا الشعب و بدمائه الّتي سالت يوماً على نصل الطائفية العمياء المسلّط على رقاب السوريين .. إلى حين.

سنديان – طرطوس – ٢٠١٣/٥/٣٠

العمل التطوعي الإنساني .. رافعة للعمل المدني

عن صفحة المهندس: نبيه نبهان

مع ازدياد حدة المعارك العسكرية ومع تداخل المواقع الجغرافية تزداد الحاجة للأعمال التطوعية الإنسانية، سواء منها الإغاثية أو الإسعافية وغيرها.

تتغير أشكال هذه الأعمال من منطقة لأخرى بحسب طبيعة البيئة الموجودة وطبيعة العمليات العسكرية الحاصلة فيها، و يمكن اعتبار أهم تنوعاتها الحالية اليوم هي بحسب وقوعها تحت سلطة مركزية واحدة:

(أ) المناطق التي ما نزال تحت سيطرة السلطة المركزية.

(ب) مناطق لا تخضع لسلطة مركزية واحدة.

توصيف أولي:

في الحالة (أ): لا تزال هذه المناطق تعيش في بيئة تنظيمية أقرب إلى شكل الدولة، حيث يذهب الطلاب إلى مدارسهم والموظفون إلى مكاتبهم والعمال إلى معاملهم وتسدد فواتير المياه والكهرباء والهاتف وتمارس السلطات القضائية عملها. وإن كان ذلك يتعرض «لخضَات» بين حين وآخر مع تدفق لأعمال حربية وعنفيه. في هذه المناطق ما زالت المؤسسات الصحية من مشافٍ ومراكز صحية وعيادات وأطقم طبية تمارس نشاطها بشكل أقرب للطبيعي، ولأنها كذلك تصبح قبلةً لهجرات متكررة من المناطق (ب) مما يشكل عاملاً ضاغطاً على جميع مرافق الحياة فيها .. وعلى السكان جميعاً المقيمين والقادمين.

في الحالة (ب): المناطق التي خرجت عن سيطرة السلطة المركزية دون أن تتمكن من إنشاء ارتباط جغرافي فيما بينها مما أجبرها على تسيير أمورها الذاتية بحسب ظروفها المحلية؛ ففي بعضها تشكلت

حرية سلمية مدنية

إدارات مدنية من الكوادر التي بقيت ومن متطوعين لا يمتلكون خبرات سابقة لتأمين الاحتياجات الإنسانية للسكان بالاعتماد على ما تبقى من المؤسسات ومن إنتاج الأراضي والمنشآت التي سلمت من الأعمال العسكرية بشكل أو آخر إضافةً إلى اعتمادها على التبرعات و التقدمات التي يتم تسريبها لهم سواء من المنطقة (أ) أو من خارج الحدود بحسب موقعها الجغرافي أو كلا الأمرين معاً ونقصدُ خاصةً الوقود والطحين والمواد الطبية كما في دوما والغوطة الشرقية، داريا، بعض مناطق حلب، وريف إدلب، والريف الشمالي لحمص، الرقة، الحسكة. ويزداد الأمر صعوبةً في هذه المناطق بسبب تحرك خطوط التماس للعمليات العسكرية بين وقت وآخر، وتعرّض هذه المناطق للقصف المستمر سواء من الجو أو الأرض مما يتسبب بتدمير مستمر ومتكرر للبنى التحتية، الأمر الذي يعيق تقدم العمل المدني عموماً ويدفع العمل العسكري والإسعافي إلى الواجهة.

أشكال العمل التطوعي في المنطقتين:

في الحالة (أ): يأخذ العمل التطوعي شكل العمل الإغاثي لتقديم المساعدات للقادمين من المناطق (ب) والسعي لتوفير شروط أكثر إنسانيةً لهم، حيث لا يمكن للمؤسسات المركزية للسلطة: الشؤون الاجتماعية والعمل/ الصحة/ الهلال الأحمر/ .. الخ القيام وحدها بهذا الدور بسبب حجم النزوح الكبير – في طرطوس مثلاً يتجاوز عدد القادمين عتبة المليون أي يفوق عدد السكان المقيمين– وتصبح المجموعات التطوعية مساعداً مهماً لتأمين الاحتياجات الإنسانية وبخاصةً السكن والغذاء والتعليم والدعم النفسي. وتزداد الحاجة لهذه المجموعات عندما تحدث أعمال من أنواع «جرائم الكراهية» مما يهدد وحدة النسيج الاجتماعي المتنوع وآفاق العيش المشترك.

في الحالة (ب): يأخذ العمل التطوعي شكل العمل الإغاثي الإسعافي بسبب استمرار أعمال القصف التي تتسبب بتدمير المساكن وتعرض المدنيين للإصابات، كما تزداد الحاجة لهم لتأمين الدعم النفسي وبخاصةً للأطفال ومحاولة التصدي للاحتياجات التعليمية؛ ففي بعض المناطق يمر الموسم الدراسي الثالث بدون مدارس وبدون تعليم. كما يقوم العمل التطوعي الإنساني فيها بدور مهم في تأمين الاحتياجات الغذائية والصحية وتسيير ما يمكن اعتباره بديلاً للمؤسسات التي تلبي حاجات الناس من ماء وكهرباء واتصالات وصحة وصولاً إلى تنظيم السير وضبط المخالفات والأعمال الجنائية، وأحياناً تلبية الحاجات الثقافية كتنظيم المعارض وتنظيم بعض العروض المسرحية والسينمائية وتوفير الكتاب وبعض أعمال الترفيه وبخاصةً للأطفال في محاولةٍ لتوفير عوامل الحياة والبقاء.

معوقات العمل التطوعي الإنساني:

مع تقدم الوقت تتأصل الحالة العسكرية وتتنوع أشكالها وسيادتها على أنماط الحياة في كلا المنطقتين:
حيث تأخذ الميلشيات العسكرية المحلية في المنطقة (أ) شكلاً معمماً فيها مع محاولة إعطاءها شكلاً شرعياً «جيش الدفاع الوطني» وبقايا «اللجان الشعبية المسلّحة» نموذجاً. إضافة لانتشار المجموعات العسكرية للجيش النظامي وللقوى الأمنية المتنوعة فيها وانتشار التسليح العشوائي بين السكان. الأمر الذي يضغط على أشكال الحياة المدنية ويدفعها للتراجع.

بينما تنتشر في المناطق (ب) جميع أشكال الحياة العسكرية بحسب طبيعة كل منطقة وتتداخل فيها الأعمال العسكرية والمدنية إلى درجة يصعب الفصل بينهما أحياناً، بل ويحدث تصادم داخلها بين القوى العسكرية من الصف الواحد بسبب غياب القيادة المركزية لها واختلاف برامجها السياسية والفكرية وولاءاتها بحسب طبيعة تكوينها ومصادر إمدادها وتمويلها.

آفاق العمل التطوعي الإنساني:

أمام هذه اللوحة و«العرض السريع» يمكن القول بأنّ العمل التطوعي الإنساني –وغالباً البعيد عن غايات سياسية مباشرة والمستقل عن الانتماءات الدينية أو العرقية– يصبح بغاية الأهمية لاستعادة الأشكال المدنية للحياة. وستزداد الحاجة له مع مرور الوقت وتأخر الحسم العسكري للمتصارعين، بل يمكن اعتباره رافعةً لاستعادة المبادرة من حملة السلاح عبر تفعيل العمل التطوعي الإنساني والانتقال به بعد تجذره وتوسع نشاطه واستقطاب القوى الصامتة والمترددة، بحيث يشكل قوة ضغط على الخيار العسكري لكي يتوقف، والانتقال لاستعادة أشكال الحياة المدنية ومواجهة الاحتياجات التي ستظهر حقيقة حجمها حينذاك –والتي تصل حقيقةً إلى حدود الكارثية– حيث يجري التغافل عنها اليوم من قبل المتصارعين لغايات يبرّرونها وفقاً لأجنداتهم أو بسبب صعوبة إحصائها.

ولأن الحاجات الإنسانية لا تقف عند حدود، فإنّ الصراع لن يتوقف من أجل تلبية هذه الاحتياجات. ولكن للعمل الإنساني التطوعي أن يدفع لأنسنة هذا الصراع وإبعاد شبح العنف عنه في المستقبل أيضاً.

يمكن القول بثقة أن العمل التطوعي الإنساني ليس مجرد نشاط إغاثي أو إسعافي أو من أعمال الإحسان، بل هو تفعيل لقوة الحياة داخل المجتمع بمواجهة قوة الموت. هو تفعيل لروح المبادرة والإرادة في وجه الاستلاب وغياب العقل وصولاً إلى تفعيل آليات بناء شخصية حرة وإنسانية تتمتع بالكرامة والقدرة على العطاء والإبداع. وهذه الذات الحرة من أهم المكونات الضرورية ليتمكن المجتمع من بناء عقد اجتماعي جديد يعيد التماسك بين مكوناته التي تتعرض اليوم لخطر التفكك والتنابذ وحتى التصارع الداخلي، وصولاً إلى بناء «دولة» جديدة تحقق العدالة والكفاية لجميع «مواطنيها» دون تمييز بينهم سواء على أساس الدين أو المذهب أو العقيدة أو القومية أو الجنس، دولة مواطنة تنمي روح المبادرة والعمل التطوعي لدى أبنائها وتنقله إلى أعلى درجات العطاء والإبداع.

الثورة السورية والغرب... عقم الاستجداء

بقلم: صادق عبد الرحمن

منذ أصبح واضحاً للجميع أن النظام السوري سيستخدم كل ما في جعبته من أسلحة لسحق الثورة وحاضنتها الشعبية، بدأت تتعالى الأصوات مطالبةً بتدخل دولي لحماية المدنيين وتمكين الشعب السوري من التخلص من الطغيان، وعندما طالب المتظاهرون والثوار بهذا التدخل علناً، رفض قسم من نخب ومثقفي الثورة والمعارضة هذا التدخل تحت مقولات تقليدية من قبيل العداء للامبريالية والسيادة الوطنية ومطامع الغرب الاستعمارية، في حين وافقت قيادة المعارضة ممثلة آنذاك بالمجلس الوطني السوري على مضض على هذا المطالبات، وتعهدت بالعمل على طلب التدخل الدولي وفقاً لرغبة الشعب السوري.

لم يأت التدخل الدولي رغم الصراخ في الشوارع، ورغم المطالبات العلنية في الإعلام والمؤتمرات والاجتماعات، وانتقل الجميع للحديث عن المؤامرة، مؤامرة الغرب الذي وعد السوريين بالتدخل وشجعهم على المضي قدماً في ثورتهم المسلحة ثم تركهم دون أي مساعدة، إنها المؤامرة الدولية إياها قد انتقلت بكل سهولة ويسر من خطاب النظام إلى خطاب الثوار والمعارضة، الجميع يتآمر علينا فماذا نحن فاعلون؟

نعم لقد طالب السوريون في تظاهراتهم بالتدخل الدولي لحماية نسائهم وأطفالهم من الموت والتشريد، وكان هذا طبيعياً أمام آلة النظام الأمنية والعسكرية التي لا ترحم، ولكن هل يعقل أن النخب السياسية السورية تعتقد أن ثمة تدخلاً من الممكن أن يأتي لحماية النساء والأطفال، هل إنّ نخبنا السياسية –وأعني قيادة المعارضة والثورة بكل أطيافها– بائسة إلى درجة أنها لا تدرك أن الابتزاز العاطفي للغرب لن يأتي بالجيوش ولا بالطائرات ولا حتى بالسلاح؟

لقد قال معارضونا إن من واجب العالم التدخل، وحملُوا الأمم المتحدة والغرب المسؤولية الأخلاقية عن استمرار سفك دماء السوريين، إلا أن أحداً منهم لم يتحدث في السياسة، ولم يقل للشعب السوري الذي ينزف في الشوارع إن للتدخل ثمناً وشروطاً ومتطلبات، إن أحداً لم يقل للسوريين أن حمل السلاح ضد نظام الأسد بدون دعم دولي سيعني دمار البلاد ومئات آلاف القتلى، وأن الدعم الدولي لن يأتي لأسباب إنسانية، وأن المصالح فقط هي ما يمكن أن يأتي بالدعم الدولي.

لقد فات النخب السياسية التي عبدت طريق جهنم أمام الشعب السوري بالنوايا الحسنة، أن الغرب لن يدعم ثورةً فيها ما يناقض قيمه ومشروعه ومصالحه، لن يدعم الغرب ثواراً يصرون على أن يحتضنوا بين ظهرانيهم كتائب تصف الغرب بالصليبي الكافر وتعتبر الديمقراطية رجساً من عمل الشيطان، ولن يقدم الأميركيون صواريخ قد تصل إلى يد من يريد إزالة إسرائيل من الوجود. لا تتعلق المسألة هنا بصوابية طلب التدخل من عدمه، أو بصوابية تقديم كل ما يريده الغرب مقابل الدعم، بل يتعلق الأمر بحالة الفصام المخيفة التي تعيشها أغلب النخب السورية.

إذا كان ثمة مؤامرة على الشعب السوري فيما يخص خدعة التدخل الدولي، فهي مؤامرة النخب السياسية والثقافية على هذا الشعب، هذه النخب التي قدمت أيدولوجياتها وقناعاتها ونزعاتها الذاتية على حياة السوريين ومستقبلهم، وفي المقدمة أولئك الذين يواصلون استجداء الغرب بخطاب تبسيطي عاطفي فارغ. نعم إن هناك من فضَّل عدم المقامرة بمستقبله السياسي على مصارحة السوريين بالحقائق، وهناك من فضَّل التمسك بأوهام الأيديويولوجيا المعادية للغرب (اليسارية والإسلامية على حد سواء) على حق السوريين في أن تتم حمايتهم من القتل والتدمير، وكثيرون هم أولئك الذين لا يزالون يستجدون الدعم من المجتمع الدولي ويواصلون اتهامه بالتآمر على الثورة في الوقت نفسه. هم يقولون إن الغرب معادٍ لنا، ويقولون للسوريين أن يواصلوا ثورتهم المسلحة دون هوادة لأن العالم يقع على عاتقه واجب أخلاقي في مساعدتنا، ولكن متى كانت الواجبات الأخلاقية تجدي نفعاً في السياسة؟

صور من العالم الآخر [٧]

بقلم: نجم

١

خَوفْ: اختلّت العلاقة بين حسن و عائلته منذ رفض المشاركة في جنازة أحد الشهداء المحليين لأنّه –و كما صاح بوجه والده حين حاول الضغط عليه–: «ضابط أمن مجرم فايحة ريحتو و برقبتو دم كتيير عالم».

حسن المعارض و المعتقل السابق يعاني الأمرين في قريته هنا. يشعر بالمرارة على كل هذا الدم المسفوك، يقضي ليالٍ طويلة لا يستطيع فيها النوم و هو يفكر بأقربائه «المسحوبين عالاحتياط». تدور الإشاعات عنه في كل القرية بحيث يبدو لمن يستمع لحديث اثنين عنه بأنّه المنسّق الأعلى «للمؤامرة»!

يعود والده من الدفن، يرميه بنظرة حادة بقول له بعصبية نخفي قلقاً حقيقياً:

«يا ابن الكلب مو فرقان معي موتة هالزلمة غير لأن بطّل عندي حدا فيي إسألو عنك بس ياخدوك».

٢

بُعد نَظَر: عندما طُلِبَ محمد للاحتياط تأخر لأكثر من شهر حتّى التحق، البعض لم يحاول إخفاء اللوم أو السخرية من جبنه و قلّة «وطنيته»، حتى أمّه و أخوته لم يسلموا من التلطيشات!.

اليوم عاد محمد مكفناً بعلمٍ لوطن لم يقضِ في سبيله! شيّعه أهل القرية إلى مثواه الأخير بحزنٍ بالغ فمحمد كان من أكثر الشباب طيبةً و خلقاً. كان «تعيب»؛ يعمل بشكل مستمر و مرهق لإعالة أسرة فقدت الأب، مع أمّ مقعدة و أخوةٍ أصغر منه.

تكشف الأم في اليوم الثاني للعزاء لماذا تأخر محمد بالالتحاق أمام إحدى جاراتها الّتي أعطتها يومها درساً بالتضحية في سبيل الوطن؛ محمد كان يعمل ليل نهار في ذلك الشهر ليجمع ما يكفي من المال لإقامة السبوع (الصدقة) عن روحه عندما يعود شهيداً دون أن تضطر أمّه لتقبّل إحسان أهل القريّة.

بصعوبةٍ تفهم جارتها ما تحاول أم محمد قوله بين الشهقات و الدموع: «لك في أم بيطلع من تما تحكي إنو إبنا عميشتغل ليدفع حق كفنو»!

٣

سَفَر: في بولمان (طرطوس–دمشق) تكاد تسمع أصوات القلوب المتسارعة باضطراد مع كل كيلومتر يقطعه بعيداً عن طرطوس، أفكارٌ كثيرة تدور بأذهان كل الركاب و يتعالى معظمهم عن الإفصاح عنها، الخطف، الذبح، القنص، أسماء الضحايا الّذين سقطوا على هذا الأتوستراد اللعين، حتى أولئك الّذين اعتادوا السفر من الطلاب و العاملين في دمشق .. لن يعتادوا أبداً على هذه الجرعة الروتينية من الخوف.

٤

مَتّة: اتفق أبو حيدر و أبو طارق على اللقاء عصر اليوم ليذهبوا إلى الجبل لجمع مؤونة كافية من الزهورات لاستبدالها بالمتة، يبدأ أبو حيدر الحديث: «لك ترى لا تفكرني خفت من قصة الزرنيخ ها! بس شوف جبالنا ما أحلاها ليش لنخلي جماعة يبرود يستغلونا يا أخي، يهزّ أبو طارق رأسه موافقاً و ذهنه شارد مع زوجته الّتي استيقظت اليوم مع صداع يخشى أن يكون زرنيخ ليلة البارحة قد أحدثه.

٥

حُبّ: تحت شجرة الكرز، حيث اعترف لها بحبه للمرة الأولى يوم كانا في الثانوية، يحتضنها محاولاً تهدئة دموعها، يقبّل كفيها يحاول أن يعدها بأكثر مما يملك أن يعد به؛ سيعود بطلاً، سيكمل بناء منزلهما، سيرقص في عرسهما كل شبان القرية سينجبان «ابراهيم و سارة و حسن» سيزرع لها الجوري على نافذة غرفتهما كما وعدها منذ يومهما الأول، سيقطف لها كل يومٍ وردة و يغرسها بشعرها. تَسَوَّلَ ضحكتها بكل قوته .. يريد أن يسمعها بأقوى ما تستطيع وكأنّه كان يعلم بأنّها الصوت الوحيد الّذي سيبقى حاضراً عندما ينهمر الرصاص على الحاجز الذي سيقضي عليه خدمته الإلزامية.

أوصاها فيما أوصاها أن تطبع صورته الأولى الّتي أعطاها إياها على الجداريات الّتي ستعلّق له في القرية إذا ما عاد شهيداً. لا يعلم كم تبكي كلّ ليلةٍ وهي تنظر لهذه الصورة تحديداً.

٦

إحْراج: بشار شخصيةً مشهورةً في القرية، لا يخاف التصريح الدائم عن رأيه في «سيادة الرئيس»، يصرّ دائماً أنّ سيادته سيذهب مع الريح ويترك من ماتوا لأجله لمصيرهم، شجاعته و لسانه البارع تثير حنق الكثير من شباب القرية المتحمسين وطنياً، يحاولون اقتناص الأحداث الطائفية و كل ما يسيء لصورة الثوار أو المعارضين للسخرية منه عن طريقها، وجد الشبان في الشهر الماضي صيداً ثميناً في أكل القلوب و الإعدامات الميدانية، بشار هذه المرة يصمت ... من القهر، لقد ملّ هذه اللعبة الّتي لا نتيجة منها. الألم يأكل قلبه و يشعر بعجز راسخ ... يدفعه للضحك المتواصل. يشير الشبان إليه هازين أيديهم أنّه «جُن»، يعلّق أحدهم مازحاً: «آخرة كل المعارضين هيك».

٧

رَقصْ: يصرخ شوفير سرفيس (طرطوس–القمصية) بالركاب محاولاً إقناعهم بأن «يركبوا أربعات»، يفقد أمله وسط احتجاج واضح منهم، يلقي ببعض المسبات، و ينطلق. أصبح الحرّ خانقاً مع قدوم الصيف، ما يزيد الجوّ «خنقةً» تلك الأغنية الّتي وضعها الشوفير: «لاقسم على ذو الفقار، الله و سوريا و بشار»، يتمايل الناس بهدوء على وقع اهتزاز السرفيس، وجوههم الخالية من كل تعبير تشرح كل المشكلة.

عن مخيم اليرموك و أشياء أخرى

بقلم: أبو سليمان

السابعة صباحاً .. ألملم أشيائي الصغيرة المبعثرة و أنطلق، ليس ثمة وقت كافٍ، أنتظر سرفيس مزة جبل أو مزة ٨٦ أو أي مزة في ساحة المواساة، ثلث ساعة ربما حتى تصل إلى البرامكة .. قرب وكالة «سانا».

من هنا سأمشي إلى الموقف التالي، الفحّامة. أَلِفت المشي كثيراً في الآونة الأخيرة .. للمشي فوائد كثيرة .. هكذا يقولون، لا يهمني منها سوى عبور حاجز نظامي غرس في هذا الشارع، لا يدقق الجنود على المشاة في معظم الأحيان .. المشاة أكثر حريةً من الركاب، ربما لاعتمادهم على سيقانهم وحسب.

لكل مكان رابطة في الذاكرة الموجعة .. وساحة الفحامة حين أمر فيها لا بد لي أن أذكر قطع محاورها في مشروع غليان دمشق الأول و الثاني ومرات أخرى عديدة وعند كل مظاهرة .. كنا نقطعها بأكياس ومواد مشتعلة. هذه العملية خطيرة وتحتاج الكثير من الجرأة و الدقة والحذر. أما الآن، فقد تكفل النظام بقطعها وتقطيع معظم شوارع العاصمة بالحواجز .. سواتر وأكياس رملية وجنود وأسلحة «تكلفة باهظة للقطع في نظري»، ولافتة تقول: «أمن الوطن يتطلب التضحية ببعض الوقت».

«تقدم – شارع ٣٠ – برامكة» هذا ما يكتب عادةً على السرفيس الذي أريده، اعتدت انتظاره كثيراً في فترة خلت، أما الآن فهو من ينتظرني بكل صبر، قلةٌ هم من يرغبون في زيارة حي جنوبي هذه الأيام.

نقطع بدقائق أحد أجمل أحياء العاصمة وأعرقها، «حي الميدان»، قلب ثورة العاصمة النابض، نعم كان كذلك لاشكّ .. للميدان ثلاثة شرايين رئيسة متوازية؛ الكورنيش – الزاهرة القديمة – الزاهرة الجديدة. لي ذكرى مع كل ساحة من هذا الحي، وكل شارع، وكل شيء..

جامع الماجد في الانتظار كالعادة، بزجاجه المكسر و جدرانه المطرزة بآثار الرصاص، ومئذنته التي نالت قذيفة أو طلقة دوشكا أو شيلكا .. –لا أدري– في معركة الصيف الماضي. إنها مشوهة الآن، مائلة قليلاً، لكني أراها شامخة رغم ذلك .. من هنا خرجت المظاهرات مرات عديدة .. وهنا .. زرع النظام حاجزاً .. سمّي باسم المسجد.

«الروسيّة» مشهدٌ مألوف بل مملّ من الآن فصاعداً. هنا مصعد الأرواح إلى السماء، الجبهة. يحقُّ للمدنيين التحرك كل يوم ساعتين أو ثلاث على أقصى تقدير.. خروجاً و دخولاً إلى مخيم اليرموك.

«الهُدنة حق للمدنيين» .. هكذا قرأت ذات مرة، إذاً ليست استراحة للعسكر، ألذلك يتلذذون في خرقها مراراً و تكراراً؟

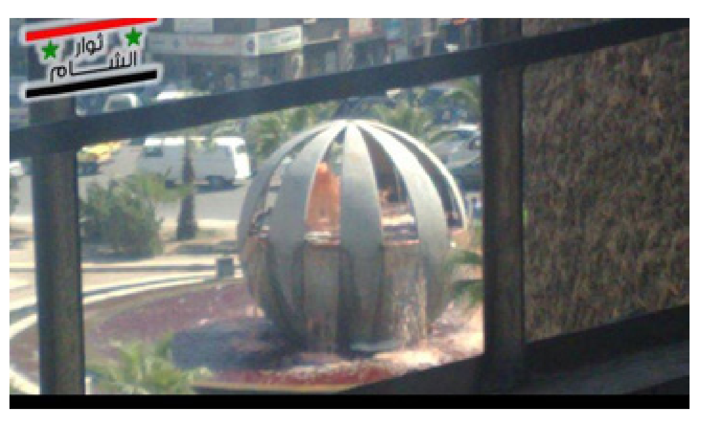
على بوابة المخيم حاجزٌ أيضاً .. ساقاك لن تنفعاك هنا، عليك الانتظار في طابور يشبه طابور الفرن .. يصطفّ الآلاف هنا كل صباح –ولا أبالغ–. دور للنساء و آخر للرجال. الذل يوزع مجاناً على هذا الحاجز الذي بات يسمى مؤخراً «المعبر»، تسمية مناسبة ... فلسطينية بامتياز.

المرأة التي يبكي طفلها تُشتَم كي تسكته .. و تلك التي تحمل ربطتين من الخبز تصادر إحداهما. و شاب صغير –١٥ عاماً ربما– يُعتقل و يقومون بتخويفه بالعصي الكهربائية ليعترف بشيء ما .. انتظرت كثيراً، و أثناء الانتظار تنتبه لأدق التفاصيل.

ثلاث ساعات و يأتي دوري أخيراً .. أفتّش من رأسي لأخمص قدمي، هل أستطيع إخفاء دبابة في ملابسي؟! بدأت أشك!.

«خلي العرصات اللي احتضنوا هالكلاب يتحملوا المسؤولية» هكذا صرخ الضابط المسؤول قبل قليل حين قام «بكبسة» على الحاجز .. جملة تختصر كل الحكاية، و جرعة من الذل لا بدّ منها.

رأيت سخرية القدر يوماً على أعتاب المخيم. سقط أحدهم قربي برصاصة قناص واحدة. ركضنا جميعاً .. كلٌّ يبحث عن مكان يظنه آمناً. وقفت لبرهة أحدّق في لافتة كتب عليها .. «خطر الموت، ممنوع الاقتراب و السباحة»! قرب دوّار «البطيخة» .. و منذ ذلك اليوم حتى اللحظة أحلم أن أعود إلى ذلك المكان لأزيل هذه اللافتة فقط .. ليس إلا ..



دوار البطيخة و قد صُبِغت نافورته باللون الأحمر

حرية سلمية مدنية

« يا رياح الجنة هبّي .. يا أنهار الشهدا صبي ... سوريا تنادي مين يلبي .. الجنة بدها رجال .. ثوّار ..».
تتغنى بها «بفلة» للثوار في بداية اليرموك قرب مطعم «علي بابا» ..
«يا يوم أشوف أعتابك .. أوقف حزين ببابك وارجع أزورك يا حيدر .. وارجع أزورك» ..
بفلة أخرى مزروعة في بناء جيش التحرير الفلسطيني .. في بداية مخيم اليرموك أيضاً .. يا ترى هل زرعها عناصر «حزب الله»؟ أو ربما ما يدعى لواء «أبو الفضل العباس» الذي يقال أنه يشارك في القتال إلى جانب النظام؟!
خمسون متراً ربما تفصل البفلتين، لست طائفياً ولن أكون .. لكن ذلك الصباح كان كذلك.. رأيت حقدَ ألفٍ و أربعمئة عام في خمسين متراً!


مخيم اليرموك ١٩-٤-٢٠١٣ مظاهرة حاشدة من جامع فلسطين

من دمشق، هنا فلسطين .. لا أجد كلمات تعبر عن حال المخيم .. أكثر من تلك .. لكني واثق أن فلسطين بحالٍ أفضل!
في مخيم اليرموك كلّ شيء نادر، وباهظ الثمن بالضرورة .. إلا الأرواح فهي رخيصة، و رخيصة جداً. الشوارع التي تعج بالحركة و الحياة .. بسطات الدخان و الخضار و الفول، محلات الألبسة و الأحذية، المكتبات و المساجد و المدارس، شارع اليرموك و صفد و لوبية و فلسطين، كل شيء في المخيم بات بنفس الملامح.
كتلة الركام هذه كانت بناء جيراننا .. و تلك كانت مطعم «ميامي» للفلافل. لا أحب سندويش الفلافل من هذا المطعم، لكنّ رؤيته على هذه الحال تجعلك تشتهي رائحة الفلافل، «الفلافل وجبة دسمة هنا».
هذه الصفائح المتناثرة كانت أرجوحة للأطفال .. ربما، و ربما كانت بسطة أو سيارةً أو أي شيء ..
الحرب سحقت كلّ شيء كـ «ماكينة الكبة» ..

حين أزور هذا الحيّ أشعر أنني فلسطيني .. كما يشعر الفلسطيني أنه سوريّ ..
مخيم اليرموك الآن ..
أكثر سوريّةً مما كان ..

Dlshad Othman

سمح الجيش الباسل و النظام الممانع للفصائل الفلسطينية بالهجوم على اسرائيل !
يعني انت الي كنت مانعون لهلا ياعرص !

غيداء العودات

ليس السوء بالثورة ، هي لم تخرّبنا ولم تشوّهنا إنما كشفت الستار عن عيوبنا وانحدارنا وأماطت اللثام عن خفايانا المُفجعة ، كم من كائنات وهميّة وأيقونات فارغة وأسماء رنّانة سحبت الثورة البساط من تحت أرجلهم فسقطوا إلى الهاوية .
ثورة إنجازها الأوّل سقوط لمن كنّا نظنّهم مُثُل أو طليعة ثوريّة .
سقط يسقط فهو ساقط ، هذا حكم الثورة بانتظار حكم الشعب .

Nael Hariri

وكان يقول لي: «كل هالكلام والعلك الفاضي مالو قيمة، لو كان بيتك رايح أو أخوك معتقل أو عيلتك مشردة ابقى قلي إنو السلاح مو حل»
ليك حبيبي! بيتي رايح و أخي معتقل وعيلتي مشردة...
والسلاح مو حل، فهمت ولا عيد؟!

مصطفى علوش

أقسم أنَّ السوري الذي لا يزال يتظاهر سلمياً بعد كل ما جرى .. لديه من إرادة الحياة .. ما يكفي لصنع جنّة من صحراء يباب .. وليس من بلد منكوب وحسب!!

Rateb Shabo

في كل زمان ومكان، أنا أخ الضحية وامتدادها، وعدو الجلاد وكارهه على إطلاق. أميل إلى صاحب الخطيئة أكثر من ميلي إلى راجميه. الخوف في عيون الضحية يعلو عندي على قسوة العيون الفاجرة. الضعف هو تربة الابداع الدائمة أما القوة فهي أرض محروقة وصخرة صماء. المجد للضحايا والضعفاء.

Orwa Nyrabia

من يزرع العدل يحصده
ومن يزرع الطائفية يحصد اطفاله

Yamen Hseen

أنا مع ولاية الفقير

لقطات من وطني



البيضا ـ بانياس



انهيار الجسر المعلق ـ دير الزور



٢٠١٣ـ٠٥ـ١٥ درعا



٢٠١٣ـ٠٥ـ٠٩ مظاهرة في حي الصالحية ـ دمشق



٢٠١٣ أيار ـ طرطوس



اللاذقية ـ بسنادة ـ هدم أبينة تابعة لأسرة نعيسة المعارضة



مظاهرة ضد السرقة و الاعتقال التعسفي في الرقة ١٤ـ٥ـ٢٠١٣

كاريكاتور

الموت لإسرائيل

التاريخ: 06 مايو 2013





غرافيتي



كفرنبل

غنية



علي السيد، أحد الناجين من مجزرة الحولة، طفل سوري عمره ١١ سنة، نجى بعد أن قتل الرصاص أمه و أبوه و أخوته الأربعة، علي اختبأ بين جثث عائلته و دهن نفسه بدم أخوه حتى يظنّ القتلة أنه ميت مثل البقية. بعد ما انتهاء المجزرة، هرب حافي الأقدام لضيعة قريبة.

راحوا – سومر شعبان

لا تسألني أنا مين بشبه   أو أنا مين بحب
مين بالعيلة عنّا أوجه   أو عن اسم الأب
ولا حتى عن أمي و إخواتي   راحوا .... راحوا

كان في ديرة و كان في جيرة   و وادي كلو ورد
دقوا بواب الحارة كلا   سقوا بدمنا الأرض
حتى رفقاتي و صحابي   راحوا....راحوا

لا تقلي في عندي بيت   لا تقلي حظي أحلى
و ابنك عايش بين إيديك   و أمك حضنها دفا
لا تقلي هي إبرة و خيط   ما عاد في شي يترقع
دم أهلي غسل إيديك   و ما عاد الحكي ينفع
يلي حملوني بجناحن   راحوا....
يلي دبحوني بسلاحن   راحوا....

صوتو ببالي حسو قبالي   بشوفو بالمنام
آخ يا بابا صفيت لحالي   حكمة من إنسان
و قبوركن آخدة دفايي   ارتاحوا....ارتاحوا

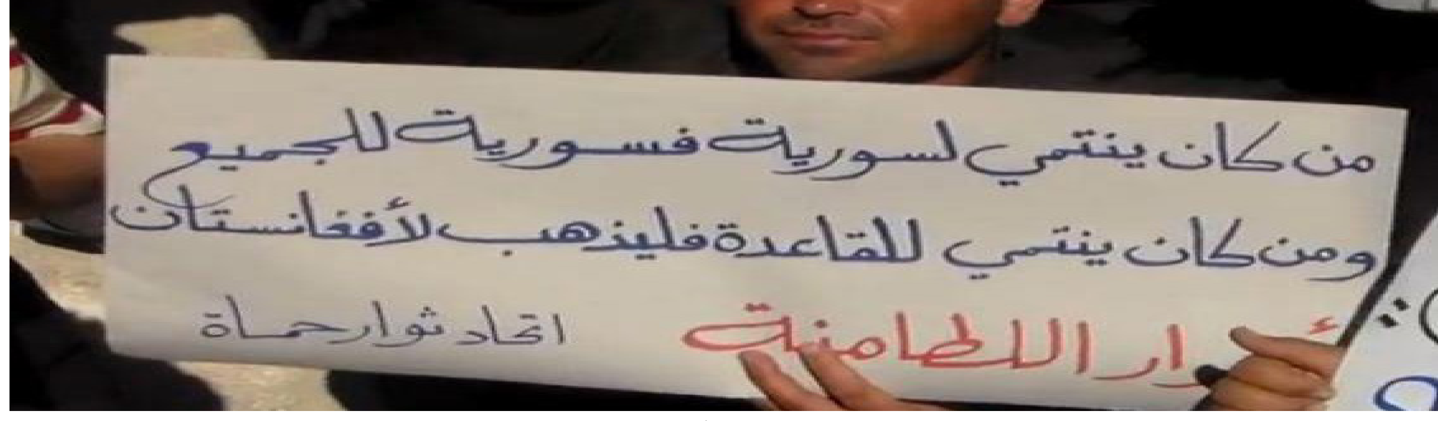
لا تقلي في عندي بيت   لا تقلي بكرا أحلى
و بنتك حاملها بإيديك   شعرا ممشط و منقى
ماشيلي بلزق الحيط   مفكر خوفك مخبى
دم أهلي غسل إيديك   و ما عاد الحكي كفّى
يلي حملوني بجناحن   راحوا....
يلي دبحوني بسلاحن   راحوا....
راحوا...   راحوا...
اللي استحوا راحو...

للاستماع للأغنية: http://www.youtube.com/watch?v=EZ٤zmr٩WpX٨

حرية   سلمية   مدنية







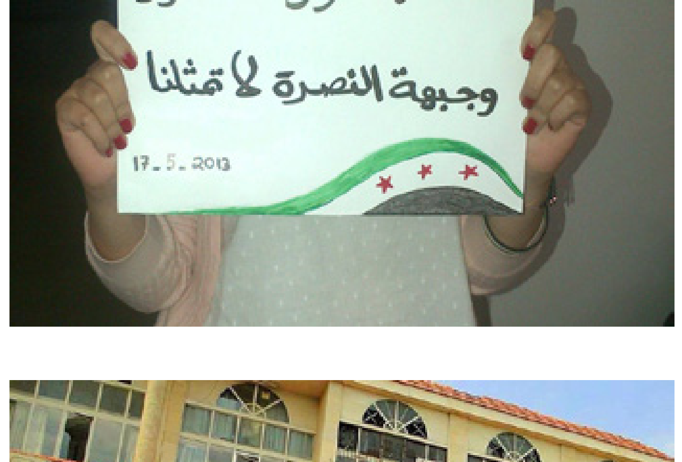
حماة



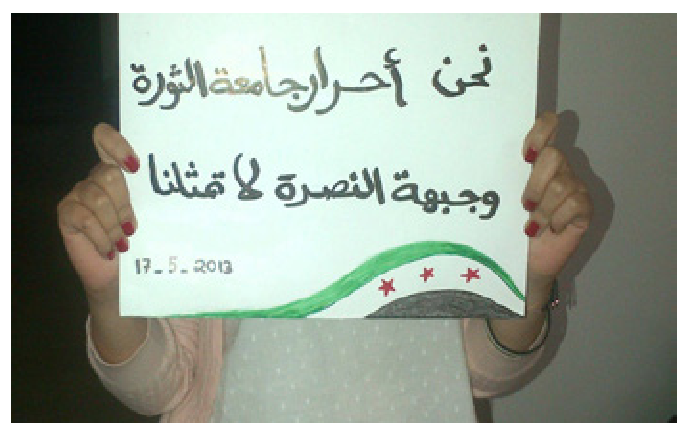
الرقة



دوما



مصياف





كفرنبل



حمص

حوار مع روزا ياسين حسن

إعداد: رجا مطر

أجرى مراسل سنديان حواراً مع الروائية السّورية روزا ياسين حسن، تناول الحوار جوانباً عديدة منها حياة الكاتبة و مؤلفاتها و علاقتها بالثورة السّورية.



روزا ياسين حسن في سطور:

- كاتبة سورية من مواليد دمشق ١٩٧٤، خريجة كلية الهندسة المعمارية عام ١٩٩٨.
- كتبت المقالات والبحوث الثقافية في العديد من الدوريات المحلية والعربية والأجنبية
- صدر لها:
  - مجموعة قصصية بعنوان: سماء ملوثة بالضوء– بيروت ١٩٩٩.
  - رواية أبنوس العام ٢٠٠٤ فازت بجائزة حنا مينة للابداع الشاب وترجمت إلى اللغة الألمانية.
  - رواية توثيقية بعنوان: نيغاتيف: من ذاكرة المعتقلات السياسيات– سنة ٢٠٠٧ في القاهرة.
  - رواية بعنوان حراس الهواء سنة ٢٠٠٩ بيروت– دار الريس وترجمت إلى الألمانية والفرنسية ورُشحت للقائمة الطويلة في جائزة البوكر العربية سنة ٢٠١٠.
  - رواية بعنوان بروفا ٢٠١١ بيروت– دار الريس وهي قيد الترجمة للإيطالية.
- ترشحت من ضمن ٣٩ كاتباً عربياً شاباً لجائزة بيروت ٣٩ سنة ٢٠١٠.
- وقفت إلى جانب الثورة السورية منذ اللحظة الأولى، وكتبت العديد من اليوميات التي توثّق للثورة والسوريين في الثورة، كما كتبت المقالات التي تدعم الحراك الشعبي الثوري.

النشأة

• أهلا بك روزا ياسين حسن ... نودّ أولاً أن تحدثينا عن طفولتك و شبابك و البيئة التي نشأتِ بها؟

أعتقد بأن أبي وذاك البيت الذي كبرت فيه، بكل تفاصيله، كان ببساطة بوابة ولوجي إلى الحياة. رائحة الكتب، عطن الجرائد المتراكمة في غرفة المكتبة، عشق الكلمات، عشق الأفكار، وغواية المعرفة، أمور شربتها هناك في بيت كانت رائحة البحر تصله معتّقة مع رطوبة المدينة. تلك الذكرى توقظني كل صباح منذ ثماني وثلاثين سنة وحتى اليوم، رغم أني بعيدة عنها اليوم، جغرافياً على الأقل، لكنها ساكنة في روحي أكاد لا أستطيع التفلّت منها، ممزوجة بحنين مؤلم وحب وفرح وأسى.

• والدك بوعلي ياسين المثقف النقدي الذي لم يأخذ حقه من الاهتمام في الإعلام العربي، رغم أهمية ما كتبه في السياسة و الفكر والفن و الثقافة الشعبية ،كيف تصفين علاقتك معه، بتأثيره في حياتك، ذكرياتك معه؟

بوعلي ياسين لم يأخذ حقه من الإعلام، جملة لطالما سمعتها، لكني لا أعتقد بأنه كان ساعياً إلى ذلك، كان يعمل كنملة دؤوبة، كما وصف نفسه مراراً، متعففاً عن أي مكاسب! ما كان يهمه أن يوصل أفكاره وقناعاته إلى الناس بالكتابة، أن يضيف شيئاً إلى التاريخ الفكري العربي، أن يحرّك المستنقع الراكد ويحلم بالكلمات، وهذا ما سفح عمره في سبيله دون أي مطمح آخر.

أبي علّمني الحب، والحلم بالكلمات، وعشق الأفكار، وبذل الروح في سبيل قناعاتي، وعلّمني أن الثقافة أمر لا ينفصل عن الأخلاق، بل تتعشق بها تعشّقاً. ربما حاولت فيما بعد أن أوجد طريقي الخاص، وربما لا يوافقني بالكامل على تفاصيله ومساربه، لكنها قناعة أورثني أيّاها هو أيضاً: أن تكون مماثلاً لأحد يعني أن تتحول إلى نسخة ممسوخة عنه! ولن تضيف شيئاً إلا بنكهة إبداعك الخاص!.

الكتابة

• متى بدأت علاقتك بالثقافة و الكتابة و الشأن العام؟

لا أكاد أذكر متى كانت أولى محاولاتي في الكتابة، لكني اكتشفت مع الوقت بأني أستمتع بهذه الطريقة في القول، إنه عمل يشبه أي عمل آخر يؤسس لوجودك في الحياة ويخلق المعنى له. ثم مع الزمن تحوّل إلى طريقة في العيش ولم يعد مجرد شكل للتعبير، انفصل عن كونه مجرد أداة وصار شكل حياة. مع الزمن، وبتأثير من سلطة الكتابة، تعلّمت ألا أستجيب إلا لما اقتنع به، فتركت كل شيء وتفرّغت للكتابة.

لكني أذكر بأني بدأت بكتابة أولى رواياتي :أبنوس، بعد أقل من شهر على وفاة والدي، كان أمراً يشبه تلقّف التركة وإكمالها، أو شيء أشبه بهدية إلى روحه الحبيبة، أردت بهذا أن أسعدها، أو ربما محاولات لتأريخ تفاصيل وأحداث مرّت فيها عائلي ومدينتي كأني أقول له: لن أنسى!

• أغلب من كتبوا في أدب السجون أو قاربوا موضوع «السجن السياسي» كشأن ثقافي كانوا معتقلين سابقين، ما الذي دفعك لتوثيق تجارب المعتقلات السياسيات في سوريا في رواية «نيغاتيف»؟ ثم الحديث عن معاناة المعتقلين السياسيين في «حراس الهواء»؟

لا أعتقد بأن على الكاتب أن يعيش التجربة بحذافيرها كي يكتبها، يكفي أن يحسّ بها بروحه، أن يقتنع بها أخلاقياً وفكرياً، وأن يمتلك الأدوات الإبداعية المناسبة، حينها قد يستطيع أن يكتبها. لكن الأهم أن يملك الكاتب طاقة الفناء التي يبذلها كي تعيش التجربة، فكل كتاب نكتبه ننفخ فيه من روحنا وطاقاتنا، فتزداد الكلمات ونقلّ نحن!

في نيغاتيف بدأت الفكرة بخفقة حب! مجموعة من صديقاتي كن قد اعتقلن في الثمانينيات والتسعينيات بتهمة انتسابهن إلى حزب العمل الشيوعي المعارض. كانت قصصهن تهزّني كلما تحدّثن بها أمامي، ومن هنا أتت الفكرة: توثيق جزء من هذه التجربة الأليمة والغنية وغير الاعتيادية. أذكر جملة للكاتب الليبي ابراهيم الكوني لا أكاد أنساها: «كُتب الضياع على كل شيء لم يُنقش في الحجر». لذلك قررت أن أنقش القليل من تلك الأشياء على حجر كلماتي لأحفظه بطريقتي الخاصة من النسيان.

لكن تلك الفكرة التي ابتدأت بخفقة حب فتحت أمامي بوابات الجحيم، فرغم أني كبرت في بيت معارض، وتلك الأحاديث والنقاشات التي تخصّ الطغيان والقمع لطالما انكشفت أمامي، لكني لم أكن أتخيّل أن أولئك النسوة، اللواتي رحت أكتشف قصصهن شيئاً فشيئاً، كن محمّلات بكل تلك الذاكرة السوداء. أثناء عملي في الكتاب تعرّفت إلى أطياف أخرى من المعتقلات السياسيات: أخوانيات (أخوات مسلمين)، عرفاتيات (نسبة إلى ياسر عرفات)، كرديات (معظمهم كن في ذلك الوقت من معتقلات الـ ب.ك.ك) وشباطيات وقوميات وغيرهن.. كتاب نيغاتيف شكّل بالنسبة لي شيئاً يشبه صدمة المعرفة.

أما حراس الهواء فكانت تجربة أخرى، عشت جزءاً منها وكتبت عن الجزء الآخر الذي عاشه غيري. استمر فيها هاجسي في تدوين المسكوت عنه، وفي الكتابة عن الهامش وليس عن المتن، وفي تحويل الرواية إلى سفر يكشف التاريخ الحقيقي والسري للإنسانية وليس تاريخ الكتب الرسمية الذي يكتبه المنتصر والطاغية حسبما يريد، ويحشو رؤوس الأجيال القادمة به كما حدث معنا!

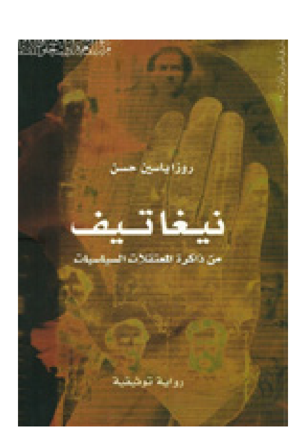
> • في نيغاتيف بدأت الفكرة بخفقة حب!
>
> • رواية أبنوس تتحدث عن ذاكرة عائلتي.
>
> • حراس الهواء كانت تجربة أخرى، عشت جزءاً منها وكتبت عن الجزء الآخر الذي عاشه غيري.

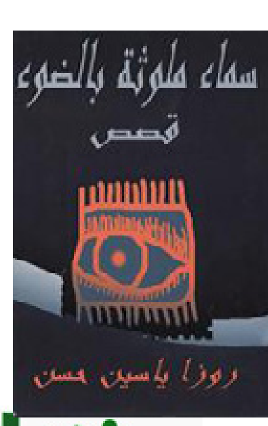
• تتحدث أبنوس عن مدينة اللاذقية خلال أحداث الإخوان، ما الخلفيات الّتي تقف خلف هذه الرواية؟ هل هو تصوير الواقع السياسيِّ الفكريِّ في سوريا في ثمانينيّات القرن الماضي أم الحديث عن العلاقة مع الطائفة، ومع نظرة الآخرين إلى الطائفة، ومع نظرة ابن الطائفة إلى نفسه وإلى العالم؟

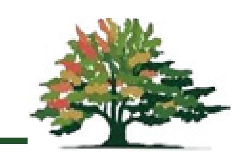
رواية أبنوس تتحدث عن ذاكرة عائلتي.

كان عقد الثمانينيات فترةً مشحونةً مركبةً ومسكوت عنها في تاريخ مدينتي اللاذقية. عبر أنماط الشخصيات التي انتقيتها، ومعظمها حقيقي كما هي الأحداث حقيقية، حاولت أن أفكّك تلك الحقبة: ألعاب النظام الديكتاتوري كانت واضحة منذ ذلك الوقت، ألعاب على أوتار الطائفية وتشظية المجتمع والضحك على عقول البشر، كما كانت واضحة، نوعاً ما، تلك الأزمة بين الأقليات، على اختلاف مشاربها، وبين الأكثرية. تتّضح كذلك الأزمة التي عانى منها العلمانيون منذ ذلك الوقت، والقمع السياسي الذي أوصلنا إلى تفريغ المجتمع من العمل السياسي والمدني والذي خلق في النهاية بوادر شرخ المجتمع إيديولوجياً وطائفياً واجتماعياً. كما خلق المجال واسعاً لسيطرة الانتماءات الدينية، ثم الطائفية والعشائرية الضيقة، مكان الانتماء الوطني والسياسي. جيلي، جيل السبعينيات، الذي كان إحدى ثمار الحركة التصحيحية هو أكثر جيل عانى من كل ذلك، جيل أتى بعد انسدال الستار وانتهاء المسرحية، جيل جعلوه بلا طعم ولا لون ولا رائحة، مفرّغ من الأحلام، جيل البعث بحق. وربما لهذا كان على المارد في النهاية أن ينتفض من قمقمه، ويخرج عاصفاً هادراً في وجه الجلاد.










ثورة الحرية و الكرامة

• كيف بدأت علاقة روزا بثورة الحرية و الكرامة ٢٠١١؟

أعتقد بأن ما يحدث في سوريا اليوم ليس وليد اللحظة، إنه عملية تراكمية ممضّة عمرها أكثر من أربعين عاماً. كل ما مرّ جعل الثورة بالنسبة لي أشبه بحلم. حلم أستيقظ كل يوم على دغدغته، كما معظم أبناء جيلي والأجيال التي تلته والتي سبقته كذلك.

• برأيك كم استطعتِ التقديم لهذه الثورة من موقعك؟ و ما التغيير الأبرز الّذي أحدثته الثورة في حياتك خلال السنتين الماضيتين؟

لم أفكر يوماً كم استطعت التقديم للثورة السورية، عملت ما كنت بحاجة لعمله، وما كنت أراه واجباً عليّ. استخدمت أدواتي وما أتقنه لإجهار ما أنا مقتنعة به، وما رأيته بعينيّ ووثّقته بقلمي. وما دفعته من أثمان لا يعادل شيئاً تجاه ما دفعه السوريون لهذه الثورة.

إن شئت أفكر بالعكس: كم قدمت هذه الثورة لي! كم غيّرتني! كم كسّرت الكثير من القوالب الفكرية المصمتة التي كبّلتني قبلاً: تعرّفت إلى الشعب السوري ولم أكن أعرفه، فقد كان ثمة جدران عازلة تفصل سوريا عن بعضها، كما تفصل السوريين عن بعضهم. تعرفت إلى بلدي، جغرافياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً، كما تعرفت إلى نفسي! في الحقيقة لم تكن تلك الاكتشافات المعرفية كلها مفرحة، في أوقات كانت صادمة مؤلمة ولها ذلك الطعم المرّ اللاذع للحقيقة المخبأة.

• أحدث تفاقم العنف في سورية بعدما أجبرت الثورة على الخروج عن طابعها السلمي/ المدني شرخاً عميقا لدى مكونات المجتمع السوري. إلى أي مدى يحتاج السوريون إلى مصالحة حقيقية تساعد على توطيد العلاقات بينهم؟ و كيف يمكن برأيك معالجة هذا الجرح الوطني؟

مع الزمن وحين راح العنف الشرس المطبّق من قبل النظام بداية ينتج ردود أفعال عنفية من جهة المعارضة، المسلّحة منها على الأخص، كنت مقتنعة بأن العنف البادئ هو الذي أدى إلى كل ذلك، كما أدى إلى تشظّي المجتمع السوري طائفياً بالدرجة الأولى ومناطقياً واجتماعياً بالدرجة التالية، وإن طال أمد ذلك العنف أكثر فسيسفر عن ويلات أخرى، خصوصاً وأن النظام استخدم العامل الطائفي، الطائفة العلوية بالأخص، لخدمة مبتغاه، ولتبيان أن الصراع هو صراع طائفي وليس ثورة شعبية في وجه الطغيان، استخدمها بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، ثم راح يعلّبها في علبه الجاهزة يوماً بعد يوم حتى لا يعود ثمة من مجال كي تفكّر في الخروج عليه.

النظام السوري وضع الطائفة بعد مرور سنتين وشهرين تقريباً على اندلاع الثورة أمام خيارين يكاد لا يبدو ثالث لهما: إما الانصياع لأمره تماماً أو تلقّي المصير المظلم الذي أعدّه من أجلها، وواحد من سيناريوهات ذلك المصير هو التعرّض لحالات من الانتقام الطائفي في حال غيابه. كل ذلك يهدد حقيقة بكارثة وطنية تتجلّى في إمكانية التقسيم الطائفي للبلاد. الأمر الذي زاده دخول عناصر غريبة إلى أرض الوطن بلبوسات طائفية راديكالية زادت من تفاقم المشهد، كعناصر حزب الله أو المقاتلين السلفيين الجهاديين من الجانب الآخر.

• الثورة بالنسبة لي أشبه بحلم.
• تعرّفت إلى الشعب السوري ولم أكن أعرفه.
• الحل الوحيد هو المصالحة الوطنية بعد رحيل النظام أولاً.
• الأمل بتواصل النضال حتى لو انتهت الثورة «شكلياً»، أو حتى لو انحرفت عما خرجت من أجله، كما يحدث في مصر اليوم.

الحل الوحيد هو المصالحة الوطنية بعد رحيل النظام أولاً، وتالياً محاسبة المسؤولين عن كل هذه الويلات التي عاشها الشعب السوري، بكافة أطيافه ومناطقه، ورحيل كل الجهات والعناصر الغريبة من سوريا، تلك التي تدّعي الجهاد في سبيل الله، وكل جهة منها لا تجاهد إلا في سبيل مصالحها وولاءاتها الضيقة، ثم سيكون الشعب السوري قادراً على ترتيب بيته الداخلي وحده، لن يكون الأمر بهذه البساطة بالتأكيد وقد يطول الوقت، فثمة أثمان غالية دُفعت.

• هل تعتقدين أن «الأزمة» السورية مرشحه باتجاه تسوية تجمع كافة أطراف الصراع (شيء شبيه بـ «طائف» سوري مثلاً) أم أن النظام سيكون خارج أي حل سياسي؟

لا أعتقد بأن أحداً اليوم بما فيهم المعارضة السياسية، وحتى النظام السوري، عارف بما سيحدث غداً، للأسف فقد انفتحت البلاد على تداخلات إقليمية ودولية جعلت زمام القرار بيد الآخرين، الدول الكبرى والكتل الإقليمية المؤثرة، فلا قرار النظام بيده، بل بيد إيران وروسيا، ولا قرار المعارضة بيدها، بل بيد أميركا ودول الخليج وتركيا. وما سترتبه الدول الكبرى سينفّذ، للأسف. هذا يخلق حالة متنامية من العجز والشعور بانعدام الحيلة لدى معظم السوريين، لكن يبقى لأمثالي الأمل، ربما كان هو الهادي للقادم، الأمل بتواصل النضال حتى لو انتهت الثورة «شكلياً»، أو حتى لو انحرفت عما خرجت من

حرية سلمية مدنية

أجله، كما يحدث في مصر اليوم، الأمل بتحقيق ما خرج شباب سوريا ليموتوا من أجله: الحرية والديمقراطية ودولة المواطنة، الأمل بأنه لا يمكن لتاريخ ممتد طويل أن ينتهي في لحظة، الشعب السوري شعب متسامح معتدل مسالم ويعشق الحياة، ولن تتغيّر معالم الشعوب في يوم وليلة حتى لو أراد العالم ذلك.

• تُطرح سيناريوات مختلفة عن مستقبل سورية من بينها التقسيم وإنشاء دولة علوية. يقول الكثيرون أننا حالياً نعيش التقسيم بشكل غير رسمي. ما هي حظوظ سيناريو التقسيم برأيك وهل له مقومات على أرض الواقع؟

بالنسبة لي لا أؤمن بأن هناك أية إمكانية لخلق كيتونات طائفية باسم «دول طائفية» في سوريا، لا اقتصادياً ولا اجتماعياً ولا سياسياً ولا ثقافياً، يبدو الأمر أشبه بالانتحار. هذا الخيار سيكون خيار الدول التي تريد كل منها قضمة من جسد سوريا، ولو وعى الشعب السوري هذه الفكرة فسيرفضها جملة وتفصيلاً، وعندي إيمان بأنه سيعيها عاجلاً أم آجلاً!

• أنت عضوة في هيئة التنسيق لقوى التغير الديمقراطي. بصراحة، كيف تقيمين أداء الهيئة سياسياً و كنشاط ميداني على الأرض؟ أين أصابت الهيئة و أين أخطأت؟

أنا اليوم لست عضوة في هيئة التنسيق، انسحبت منها بصمت قبل أكثر من سنة كي لا أتسبب في حروب صغيرة أخرى، وكي لا يتم استخدام انسحابي (إعلامياً) في خلق تشظٍ جديد للمعارضة السورية.
أعتقد بأن هيئة التنسيق بدأت بمواقف وطنية متوازنة، وجمعت تيارات علمانية ويسارية أشعر بأني أميل إليها إيديولوجياً، لكن مع مرور الوقت واشتداد العنف كان ينبغي أن تقوم بخطوات أكثر حزماً وحدّة تجاه النظام أولاً، لو فعلت ذلك لكان بإمكانها أن تشدّ من أزر وفاعلية القوى العلمانية في شارع الثورة، بدل ذلك الانحدار المؤلم في وجه المدّ الديني الذي غذّاه العنف والمال السياسي والارتهانات. كما أن الوقت كشف لي بعض الكتل المنصهرة فيها والتي لا تمت بصلة إلى قناعاتي ولا تثير احترامي في الحقيقة، لجهة مواقفها أو تصرفاتها أثناء الثورة، ولا يمكنني أن أتكلم بتفاصيل أخرى، ربما في زمن آخر يمكنني الحديث بحرية أكبر. كما قلت لك لا أريد أن أكون سبباً إضافياً لتنهش المعارضة السورية لحم بعضها. لكن هيئة التنسيق ما زالت تضمّ حتى اليوم مجموعة من الشخصيات المعارضة التي لا أستطيع إلا أن أحترمها كعارف دليلة وعبد العزيز الخير وغيرهم القليل، أمثال هؤلاء هم من يعطون لهيئة التنسيق مصداقيتها.

• لا أؤمن بأن هناك أية إمكانية لخلق كيتونات طائفية باسم «دول طائفية» في سوريا.
• أنا اليوم لست عضوة في هيئة التنسيق.
• هيئة التنسيق ما زالت تضمّ حتى اليوم مجموعة من الشخصيات المعارضة التي لا أستطيع إلا أن أحترمها.
• أشعر بقليل من الأمل حين أرى شباباً مثلكم.

روزا و سنديان

• ما رأيك بتجربة سنديان .. بكل صراحة؟

خرجت في سوريا بعد الثورة الكثير من الدوريات الثقافية والثورية والسياسية وحتى الاجتماعية والفنية، مختلفة في سماتها وعمقها وتوجهاتها، لكنها في العموم تجتمع على فكرة واحدة هي الثورة في وجه التعليب الثقافي والإعلامي الذي خضع له المجتمع السوري لعقود، وجعل الثقافة والفنون ودورياتها، كما مؤسساتها، منوطة بإيديولوجيات النظام وخططه وسياساته ورؤاه.
لكن معظم تلك الدوريات، وليس كلها بالطبع، خرجت من بيئات شعبية حاضنة لها، وهذا ما يدفع بالقوة للقائمين عليها حتى لو حاربها النظام ولاحق محرريها، كما يفعل باستمرار. الحاضنة الشعبية هي الواهب الأكبر للبطولة. أن تكون بطلاً بين أهلك أمر يختلف عن أن تكون خائناً بين أهلك، الأمر الذي يعاني منه المعارضون في البيئات غير المعارضة، ولن أقول الموالية لأنها كلمة غير صحيحة تماماً. لكنكم في سنديان من الثوار غير الكثر المصرّين على الاختلاف وعلى موقفكم المعارض، الكاشف للألاعيب، في مكان لا توجد فيه حاضنة شعبية لعملكم، بل على العكس.

أشعر بقليل من الأمل حين أرى شباباً مثلكم، وجودكم، كما وجود الكثير من المعارضين السياسيين اليوم في المنطقة، يبدد القليل من الأحكام المسبقة التي خلقها النظام واقتنع عموم الشعب السوري بها، للأسف، كما يبدد القليل من الصمت الذي راح يلفّ المنطقة، تخرقه بين الحين والآخر أصوات تخاطب العقل والأخلاق وليس الغرائز، أو أفعال ثورية معارضة، أو كلمات شجاعة تلقى في وجه الطاغية!.

سنديان– أيار ٢٠١٣

تسميم المتّة ... حقيقة الحدث وخفاياه

إعداد: نجم

أثارت شائعات تسميم المتّة من قبل «مسلّحين» في معامل التعبئة في ريف دمشق لغطاً كبيراً في الأوساط السّاحلية و تحوّلت الشائعة إلى الحدث الأبرز المسيطر على حديث النّاس هنا، لتبدأ المخاوف تكبر و تكبر مدعومةً بتقارير «رسميّة» تنهي عن شرب المتة المسمومة!

في رمزيّة المتة:

يعمد البعض إلى اعتبار المتّة رمزاً من الرموز الّتي تشير لأهل الساحل و الطائفة العلوية، و يربط تصوير عناصر الأمن أو المحققين أو عساكر الجيش في كثير من الأحيان بتواجد المتّة للإشارة إلى أنّهم من أبناء الساحل، ذلك بالرغم من الرقعة الواسعة الّتي ينتشر فيها شرب المتة على الأرض السورية من السويداء جنوباً، مروراً بمناطق في الريف الدمشقي وريف حماة وصولاً للساحل السوري وبعض المناطق في ريف إدلب. إلا أنّ ما يميز «شريبة المتة» في الساحل ربما هو تحوّل هذا المشروب إلى طقس حاضر في جميع الأوقات وعلى مدار اليوم لدى أكثرهم.

«أزمة» المتة في الساحل!

إنّ توافر المتّة في الأسواق وأسعارها المتزايدة يوماً بعد يوم يشكّل حديثاً روتينياً هنا في الساحل، يتململ الناس مع كل ارتفاع في أسعارها ولكنّهم بالرغم من ذلك يحاولون شراءها بشتى السُبل ويحاول «الميسور» منهم تخزينها ليومه الأسود.

تُباع المتّة اليوم في الأسواق –إنْ توفرت!– بسعر ٢٥٠ ل.س، أي بأكثر من خمسة أضعاف ثمنها قبل سنتين، يُلقي الناس هنا بمسؤولية هذا الأمر على «المسلّحين» الّذين يقطعون الطرق ويصادرون البضاعة ويهدّدون رؤوس الأموال من جهة، ويطيحون بالاقتصاد الوطني من جهةٍ أخرى. وشأنها شأن بقية السلع المطلوبة بشدّة، منّت المتة على كبار التجار بمصدر أرباح هائلة من خلال ألاعبهم التجارية في تخزينها وقطعها من الأسواق ومن ثمّ إعادة ضخّها للسوق بأسعار أعلى، والحجّة جاهزة دائماً: «المسلحين».

تسميم المتّة .. «مؤامرة ثوريّة» على العلويين:

قد يبدو العنوان السابق مشروعاً واعداً لنكتة ظريفة، لكنّه في الحقيقة سيلقى قبولاً في أذهان كثيرين هنا في الساحل و ذلك في الإطار العام لتصوراتهم حول الثورة، و الوضع المستجد في سوريا منذ سنتين.

بعد انقطاع للمتة دام عدة أيام، عادت المتة إلى السوق مع ارتفاع غير مسبوق في أسعارها وإشاعةٍ تقول بأنّ سبب هذا الارتفاع هو سيطرة «المسلحين» على معامل التعبئة في يبرود، وأخذهم لمبلغ ١٠٠ ل.س على كل علبة تخرج من المعمل.

إلى هنا –وبأخذ الارتفاع الكبير لأسعار المتة بعين الاعتبار– كانت الإشاعة كافيةً ليعمل بعض الشبان على محاولة إطلاق حملات لمقاطعة المتة، وذلك على خلفية «وطنية» منعاً لدعم «المسلحين» بالمال الّذي سيشترون به الأسلحة لقتال الجيش النظامي.



إعلانات مقاطعة المتة

كبرت الإشاعة مع تسريب تقاريرٍ متعدّدة، تارةً من «إدارة ميناء طرطوس» وتارةً أخرى من «وزارة الدّفاع» وتفيد جميعها بأنّ المسلحين يقومون برش بودرة زرنيخ في علب المتة تتسبب بالعقم والتسمم خلال مدة أقصاها ٥ سنوات! كما نُشرت أخبار تتحدّث عن حالات تسمّم بالمتة في مشفى الباسل –المشفى الأكبر في طرطوس–.

مديرية ميناء طرطوس
الرقم : / ٥٢٧ /
التاريخ : ٢٠١٣/٥/١٦

الشركة العامة لمرفأ طرطوس
دائرة الديوان العام
تاريخ الورود ٢٠١٣/٥/١٦

(برقيـــة)

الشركة العامة لمرفأ طرطوس

وردتنا معلومات تفيد عن قيام المجموعات المسلحة بوضع مادة الزرنيخ السام ضمن عبوات مادة المتة بكميات كبيرة جداً وسيتم توزيعها من يبرود إلى كافة المحافظات .

يطلب إليكم إبلاغ كافة العاملين العسكريين والمدنيين لديكم باتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لمنع إدخال (بيع أو شراء) هذه المادة حرصاً على السلامة والإبلاغ عن أي حادثة في حينه .

مدير ميناء طرطوس

البرقية المزورة من ميناء طرطوس

انقسم الناس بين مصدّق و مستبعد لإمكانية كون الخبر صحيحاً و «إن كان المسلحين بيعملوها!»، تبيّن لاحقاً أنّ تقارير وزارة الدفاع و ميناء طرطوس مزوّرة، الأمر الّذي كان واضحاً من سياقها و لكن انسجام محتواها مع «الفكر المتفرّد» للناس هنا منعهم من استنتاج ذلك. و بالرغم من ذلك فقد وجدت هذه التقارير طريقها لتنشر على شاشة الإخبارية السّورية في تكرارٍ لمستويات إعلامية مميزة عودنا عليها الإعلام «الوطني»، ساهم هذا الأمر بتقوية حملات مقاطعة المتة الّتي بدأت تنتشر و يزداد عدد المشاركين فيها خوفاً على صحتهم، أو كما يقولون: «لقطع الإمداد المادي عن المسلحين»!!

ضدّ مجهول:

خلال الأسبوعين الماضيين، شغل الموضوع مختلف وسائل الإعلام و أجهزة الدولة، مما دفع بشركة كبّور – المستورد الأكبر للمتة في سوريا– إلى إصدار توضيح تنفي فيه الاتهامات الموجهة لمنتجها جملةً و تفصيلاً، ومن ثمّ خلصت التحريات و الفحوصات المخبرية إلى «تبرئة» المسلحين و سُجّلَت القضية كعادة كلّ القضايا السّورية .. ضدّ مجهول.

سنديان تجول في معامل تعبئة المتّة:

تواصل فريق عمل سنديان مع المكتب الإعلامي في المجلس المحلي لمدينة يبرود، وبالرغم من الهجمة العسكريّة الشرسة الّتي كانت تتعرّض لها المدينة، قام المكتب على الفور بجولة ميدانية في معمل تعبئة المتّة، و وثّق سير العمل الطبيعي فيه و مراحل التعبئة منذ دخول المتّة المعمل قادمةً من ميناء طرطوس و حتى شحنها للتوزيع إلى بقية المحافظات.

و لتفنيد الشائعات الّتي تناولت معمله، التقينا بمسؤول المعمل الّذي عرّف عن منشئته بأنّها «شركة أهلية للبلد» و أكّد لنا غياب أيّة مظاهر مسلّحة داخل المعمل أو في محيطه باستثناء عناصر حماية المعمل من بعض ما وصفهم بالزعران شأنها في ذلك شأن أي منشأة صناعية أخرى. كما ألقى المسؤول بكامل مسؤولية الارتفاع الكبير بسعر المتة على احتكار تجار السّاحل للمنتج، حيث يبلغ السعر الأقصى لعلبة المتّة ١٥٠ ل.س، مؤكداً عدم وجود أيّة ضرائب تفرض على المعمل من قبل الثوار أو سواهم.

أمّا بخصوص وجود الزرنيخ في المتّة، فقد صرّح المسؤول أنّ «هدف هذه الشائعات هو الإضرار بسمعة المعمل و المنطقة لصالح منتج جديد يحضّر لإدخاله للسوق»، واصطحب موفدنا لمعاينة عمليات الفحص المخبري الدوري لعينات عشوائية من المادة الأوليّة بعد وصولها من مرفأ طرطوس.

مع نهاية الجولة، اكتفى المكتب الإعلامي في يبرود بعدم التعليق على الشائعات الّتي وصفها أحد الناشطين بـ «التافهة» في حين اكتفى آخر بالقول «نحن نشرب منها أيضاً!».

صور حصرية لسنديان من قلب معمل تعبئة المتة في يبرود



علب المتة بعد اكتمال التعبئة جاهزة للتغليف والشحن



فحص علبة متة عضوائية داخل المعمل

المتة القادمة من ميناء طرطوس قبل تعبئتها



السيارات الّتي تقوم بشحن المتة في كراج المعمل

لماذا حدث كلّ هذا:

من وجهة نظر تجارية، أدّت هذه الإشاعات و تداعياتها إلى خلق انطباع سلبي لدى المستهلكين تجاه المنتج، الأمر الّذي سيصعب تغييره حتّى بعد نفي الشائعات و ثبوت بطلانها. المستفيد الأكبر من حالات مماثلة هو منافس ينوي إطلاق منتجه أو تحريك سوقه، مما يلفت النظر إلى ظهور متّة جديدة دخلت السّوق بقوّة في الأسابيع القليلة الماضية مستفيدةً من خاصية تسويقية وحيدة في حملتها الدعائية: «معبأة في اللاذقية»، ومراهنةً على الخوف الّذي ترسّخ في الساحل من كل منتج مماثل قادم من «مناطق المسلّحين!».

المعطيات السابقة تقترح بقوّة احتمالية كون هذه البلبلة بكاملها ليست أكثر من «حرب تسويقية» استفادت من بيئة نفسية ساحلية جاهزة سلفاً لتلقّف شائعات بهذا القدر من السذاجة .. و ربما أكثر.

على حادثة المتّة قِسْ:

تعطي هذه الحادثة مثالاً ملموساً عن الحالة الّتي وصل إليها الناس هنا في الساحل من حيث قدرتهم على الاقتناع بأي دعاية تنسجم مع البروباغندا الإعلامية الّتي دأب النظام خلال سنتي الثورة على استخدامها في إحكام قبضته على مصيرهم من خلال إغراقهم بسيل من الأكاذيب الّتي جعلتهم يعيشون في عالم قد يغدوا فيه أي خبرٍ يستحيل تصديقه في الظروف الطبيعية .. حقيقةً.

و لتفهم عزيزي القارئ كيف تراكمت كلّ هذه (الشائعات/الحقائق) في السّاحل .. على حادثة المتّة قِسْ.

سنديان – يبرود – ٢٠١٣/٥

تمّ إعداد هذا التقرير بالتعاون مع المكتب الإعلامي في المجلس المحلّي لمدينة يبرود

صور تحشيشية لأزمة المتة









نحو حوار يؤسس لـ جمهورية الحرية السورية

بقلم: بيشوا

بات بديهياً اليوم أنّ شخصية و أسلوب الذي يقدم طرحاً ما هو نصف الطريق لقبوله من جانب الآخر، لذلك أطرح بعض الأخطاء الشائعة من قبل المعارضة و الثوار السوريين في تناولهم القضية الكوردية:

• تناول مصطلح «الأكراد يريدون» و «هذا ليس من حقهم» و «عليهم أن يعلموا أنّ»:
يمكنك نقد أي تنظيم سياسي كوردي و لكن استخدام كلمة «الأكراد» أو «بعض الأكراد» بتوجيه نقدك السياسي يضع طرحك السياسي في مواجهة شعب و يصبح كلامك شوفينية أكثر منه سياسة، الأمر الّذي لا يمنع طبعاً إمكانية نقدك للمجلس الوطني الكوردي و الهيئة الكوردية العليا مثلاً.

• «إنّ الاحزاب الكوردية ليست على قدر طموحات الشعب الكوردي»:
إنّ هذه ليست مزاودة في الحرص على مصالح الشعب الكوردي، بل هي باتت في اللاوعي الكوردي مقدمةً لتقديم أشخاص لا يحملون من الكوردية الا النسب كما يقدم النظام عمر أوسي ممثلاً للكورد.

• «أنا أعشق الكورد و صديقي كوردي و النجار جارنا كوردي كوردي، يوسف العظمة و صلاح الدين الأيوبي كورد»:
إنّ هكذا كلام يسقط حالة اجتماعية على إشكالية سياسية و هذا غير ممكن، و أيضاً ذكر الأصل الكوردي لبعض الرموز يدل فيما يدل أنهم خير مثل للكوردي الذي يجب أن يكون، مما يعني أنّ المطلوب أن ينسى الكوردي هويته و ثقافته و ينتمي إلى ثقافة عربية قومية أو إسلامية .

• «شو كوردي شو ديري شو حموي كلنا سوريين»:
هذه لا تعني إبداء الحب بقدر ما تعنيه سياسياً بعدم استيعاب وجود «قومية كوردية آرية في أصولها و لغة هندوأوروبية في جذورها».

• «في سوريا المستقبل سنسمع الأغاني الكوردية» :
هكذا شعار في مظاهرة ما كان له عظيم الأثر كوردياً، و لكن استخدامه في الخطاب السياسي يعني انك تؤمن بالحقوق الثقافية للشعب الكوردي التي تحققت الآن و هي جملة فارغة المعنى كأن تقول «بعد إسقاط بشار الأسد سوريا المستقبل ستشهد إسقاط بشار الاسد».

• «على الكورد أن يكونوا في صف الثورة السورية»
طيب ألم يكن الكرد في الثورة! و ذلك الكوردي الذي عالجك جريحاً في ريف دمشق هل كان مع الأسد أم ذلك الذي أصيب في قلب حي المزة أم ... لسنا بصدد تعداد المشاركة الكوردية في الثورة السّورية.

و ببديهية: إنّ الثورة كانت معجزة على الأرض و لكنها بإنتاجها الثقافي و الفكري و الإعلامي و الفني ما هي إلا استمرار لحالة سبات مستمرة منذ عقود .
كل كوردي يعلم أن ما سبق من جمل أوردتها هي سلعة تستمر الثورة في بيعها له. بانتظار الثورة الفكرية سيبقى حوار الطرشان سيد الموقف.



المعجزة

بقلم: رشا عمران

سيصحى السوريون ذات يوم بعد أن تتوقف أنهار الدم التي ملأت سوريا في كامل أراضيها على واقع جديد فرضته رائحة الدم وفرضته المقابر البيض التي تماهت مع التراب السوري حتى لم يعد ثمة مشهد آخر غيرها، وفرضه الأسود الذي صار جزءاً من الجسد الأنثوي السوري، واقعٌ أقل ما يقال فيه أنه كفيل بالقضاء على فكرة الكيان السوري الواحد الموحد إلى الأبد ما لم تحدث معجزة ما بأيدي السوريين أنفسهم تنقذ بلدهم من التفتت والتشتت والفناء.

منذ بداية الثورة السورية اعتمد النظام الحاكم، من ضمن ما اعتمده من حلول كارثية على سوريا وضامنة لبقائه في حكمها أطول فترة ممكنة، على خطة منهجية تستند بنودها على بث الرعب بين السوريين من بعضهم البعض عبر نشر الشائعات عن حوادث قتل على الهوية وعن وجود مسلحين يهدفون إلى قتل كل من يخالفهم في الهوية المذهبية، حدث هذا أولاً في المدن والمناطق التي انتفض ابناؤها والتي تتميز بخاصية التنوع المذهبي بين مكوناتها، وكان لابد ليكتمل السيناريو من ضحايا ينتمون إلى كل الأطراف، يقتلون ويتم التمثيل بجثثهم، والقاتل المجهول يتم تناقل هويته على أنه من الطرف الآخر، حيث دائماً يوجد طرف آخر في تلك المناطق والمدن، بينما الهوية الحقيقية للقاتل مثبتة ومحفوظة في أدراج مايسمى (مديري الأزمة).

تواتر هذه الحوادث وانتشارها هيّأ لانتشار ما عرف باللجان الشعبية المسلحة في الحارات والمناطق المؤيدة، شباب حديثو السن يحملون أسلحة أطول من قاماتهم تشعرهم أنهم يمتلكون السلطة والحاضر والمستقبل وتسهل لمن يستخدمهم عملية تجييشهم طائفياً ومذهبياً ضد السوري الآخر شريكهم بالوطن، بالمقابل بدأت أصوات ترتفع وتعلو من جهة الثورة تشيطن كل من هو في الطرف الآخر وتحيله إلى صفة التشبيح وتحلل دمه لكونه من نفس فصيلة دم القاتل الطائفية.

بدأ الانقسام النفسي يسيطر أولاً على السوريين، انقساماً مترافقاً مع الحذر والخوف من الآخر، ومترافقاً أيضاً مع ظهور أساطير ومرويّات شعبية يرويها كل طرف عن الطرف الآخر وتستفز ذاكرة الخوف لدى الطرفين، من راقهم هذا الحال ومن رأوا فيه وسيلةً لاستمرار سيطرتهم على المجتمع والسلطة أمعنوا في فعل التقسيم لتحويله إلى تقسيم لوجستيي مضافاً للآخر النفسي، فبدؤوا بإنشاء أسواق ومحلات تجارية خاصة بطائفة ما (في بعض المدن ذات التماس الطائفي) بعد أن كانت الأسواق مشتركة بين الجميع وكانت مكاناً للالتقاء ولتبادل الأحاديث اليومية والانسانية، جزء كبير من فكرة هذا التقسيم اللوجستي في المنطقة الواحدة يتعلق بهذا، منع الناس من اللقاء العفوي ومنعهم من التواصل الانساني الذي قد يخلق شيئاً من التعاطف أو كثيراً منه، الأزمة المشتركة توحد البشر، الخوف المشترك يوحدهم أيضاً وكذلك القلق على المستقبل وكذلك الحزن، كان لا بد إذاً من تحقيق هذا الفصل ولو باستخدام اقذر السبل، فالغاية القذرة تبرر الوسيلة القذرة، ولم يسلم من هذا الفصل من المدن ذات التنوع المذهبي والطائفي سوى مدينة طرطوس وإلى حد كبير مدينة اللاذقية والعاصمة دمشق بحكم واقع الحال.

ورغم أن مدينتي الساحل (طرطوس واللاذقية) تصلحان لتعبير (مرتع) للشبيحة الحقيقيين الذين يستفزون سكان المدينتين جميعاً، من أي مذهب أو طائفة كانوا، إلا أنّ الخطة بإبقاء المدينتن تحت الأمان ساهمت بجذب عدد كبير جداً من النازحين واللاجئين ممن فقدوا بيوتهم نتيجة القصف الممنهج والعشوائي ونتيجة الاقتحام بالدبابات ونتيجة الموت الذي يختال بشوارع مدنهم وقراهم خاطفاً كل من يراه أمامه ونتيجة سكاكين المجازر التي يتباهى بحملها مرتزقة وقتلة مأجورون طائفيون.

هذا الواقع الجديد على المدينيتن وبعض قراهما يمكنه أن يكون هو المعجزة التي تنقذ سوريا من التفتت وتنقذ السوريين جميعاً من الانقراض كشعب أصيل بتاريخ حضاري عريق، وجود هذا العدد من (الآخرين) المختلفين اجتماعياً وثقافياً في الساحل سيعمل حتماً على مايلي:

- فهم كلا الطرفين لحقيقة ثقافة الآخر وطبيعته بعيداً عن الأسطرة والمرويات الشعبية وشائعات الاستبداد بشقيه السياسي والدين.
- إزالة الالتباس حول حقيقة هوية القاتل والمجرم الحقيقي بدلاً من تحميل كل طرف هويته للطرف الآخر.
- المساهمة في بناء سلم أهلي طويل الأمد تفرضه مصلحة اقتصادية واجتماعية بقدر ما تفرضه مصلحة انسانية وضميرية.
- إتاحة الفرصة لأولاد الطرفين أن يتشاركا مقعد الدراسة واللعب في باحة المدرسة والمشوار على الطريق بين المدرسة والبيت وأن يتشاركا في الطموح والتخطيط للمستقبل ووضع الحذر والخوف من الآخر ابن الاخرين المختلفين جانباً.
- إنتاج علاقات إنسانية عميقة يتم تبادلها عبر علاقات التجاور والتزاور والمساعدة والتعاطف.

سيخلق كل ذلك مناخاً لفتح أحاديث عن الماضي وعن الحاضر ولماذا حدث ما حدث وكيف حدث وأين مكمن الخلل في فهم شريك الوطن للآخر، سيتيح للطرفين التفكير العميق بمستقبل أبنائهم ومستقبل وطنهم و ما عليهم تجاه الوطن ومستقبله، والأهم سيكون نواة لتكريس ثقافة الاختلاف السياسي الصحي و احترام الرأي والرأي الآخر بعيداً عن التخوين والاتهام بالعمالة وهي الذهنية التي حكمت سوريا عقوداً طويلة مما يشكل أساساً متيناً تستند إليه المجتمعات المؤمنة بالديموقراطية والتعددية في بناء دولها وأنظمتها وقوانينها ودساتيرها ويساعد على إنتاج هوية وطنية جامعة عصية على الضمور بعيداً عن الهويات الصغيرة الضيقة والتي لا يمكنها أن تنتج غير تجمعات بشرية منفردة ومتناحرة ومتقوقعة وعصية على التطور.

لن يكون من السهل البدء بهذا في ظل الدم والعنف المنتشر في سوريا، ولا في ظل الجنازات التي تصل يومياً إلى الساحل محملةً بجثث أبنائه، ولا في ظل أخبار صواريخ سكود التي تضرب مدن وقرى زوار الساحل وتفتك بما تبقى فيها من عوائلهم وأبنائهم وتقضي على أرزاقهم وشقا أعمارهم، ولا في ظل المجازر الطائفية المتنقلة تحت اسم الممانعة والمقاومة، ولا في ظل تقطيع الجثث الطائفي بذريعة التقرب من الله والجنة، ولا في ظل هذا التجيشش الاعلامي الطائفي الذي لم تنجو من قذارته فضائية واحدة، ولا في ظل وجود تجار الدم وأثرياء الحروب من الطرفين ممن لا يناسبهم حدوث معجزة ما تنقذ سوريا كي لا تُمَس أرباحهم المتزايدة يوماً بعد يوم أو تُمَس مصالح مموليهم من رجال سياسة ودول صغيرة وكبيرة وأجهزة مخابرات عالمية.

لن يكون سهلاً في ظل كل ذلك البدء ببناء جدار ثقة بين أبناء الوطن الواحد في محنتهم هذه، لكن سوريا تحتاج إلى جهد كبير لإنقاذها وتحتاج إلى النفوس البيضاء وإلى أصوات العقل وإلى الضمير السوري الإنساني الذي لا يمكنه أن يموت وإلى التعاطف والقدرة على قول الحق ومواجهة الظلم والوقوف في وجه القتلة والإصرار على الحياة وفهم الواقع كما هو وتحليله بعيداً عن رومانسية الطروحات أو تحميل مسؤولية ما يحدث لمؤامرة كونية.

العطب فينا نحن كسوريين والحل يجب أن يأتي منا نحن كسوريين، أن نفكر جميعاً أنّ الأنظمة بطغاتها و إفرازاتها ومجرميها إلى زوال والوطن بشعبه هو من سيبقى فقط، هي بداية الخروج من مأزقنا ومحنتنا جميعاً، هي المعجزة التي ستنقذ سوريا، سيرث سوريا الطيبون الأحرار من أية عبودية كانت، سيرثها من يحبها من أبنائها، أما الآخرون فإلى زوال.



نرحّب بآراءِكم و انتقاداتِكم و مشاركاتكم و نقاشاتكم على صفحتنا على الفيسبوك.

www.facebook.com/Sendian.Mag